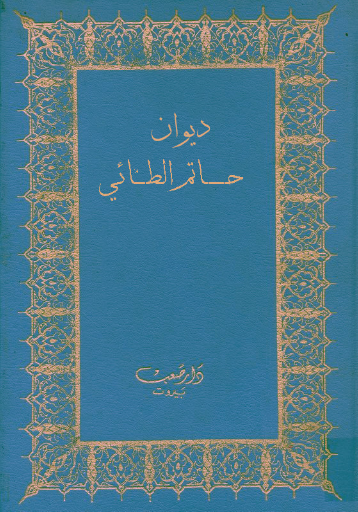

ديوان
حاتم الطائي
دار صعب
بيروت

ديوان

حاتم الطائي

مع دراسة أدبية مفصلة عن

الجود والأجواد

في تاريخ الأدب العربي

بقلم

الدكتور فوزي عطوي

دار صعب
بيروت

الجودُ والأجوادُ

في

تاريخ الأدب العربي

تمهيد

حفل تاريخ الأدب العربي ، منذ الجاهلية القديمة ، بألوان من القصص والأساطير ، تحمل في طيّاتها سمات بارزة لما كان عليه الخلق العربي ، ولا سيّما في القبائل العريقة ، من مزايا وشمائل معنوية ومادية ، وما درج عليه العرب من عادات نبيلة ، وتقاليد كريمة ، تتضاءل دونها بعض الحماقات ، التي لا بُدّ أن تعرفها الشعوب ، في عهود بداءتها ، أو في عهود وثنيتها ، حيث لا حضارة تصقل الأخلاق ، وتهذّب المواهب، ولا دين يقف حائلاً دون اقتراف ضروب المآثم التي كان يحسبُها مرتكبوها مكـارم وصفاتٍ حميدةً مبرورةً

وإذا كانت الشجاعة قد برزت مزّيةً ملازمة للشعوب ، تتغنّى بهـا شعراؤها ، وتطريها أدباؤها ، في كل عصر ومصر ؛ وإذا كـان الذود عن الحياض ، والموت في سبيل الكرامة الانسانية والوطنية ممّا تتفاخر به الأمم والشعوب، فقد كانت فضيلة الجود طبعاً لا يُغلّب في العرب ، جميع العرب، نظراً لعوامل وراثية وبيئيّة كثيرة ، جعلتهم يتصفون بهذه الفضيلة اتصافاً بارزاً يحجب ما يتصف به ، في هذا المجال ، غيرهم من الشعوب.

من هنا أن الأدب العربي يحفلُ بذكر الجود ، والأجواد ، فيمتدح خصالهم ، ويُعلي ذكرهم ، ويضفي عليهم من آيات الشكر ما يُعيي القلب واللسان ، كما أنه ، بإزاء ذلك ، يحقّر كل بخيلٍ مقتّرٍ على نفسه ، وعلى الآخرين ، وينحو باللائمة على سوء خلقه ، وضعة نفسه ، وقلة شأنه بين أفراد القبيلة أو المجتمع ، وسوى ذلك مما يعرفه دارسو الأدب العربي ، قديمه وحديثه .

ولا يمكن الادعاء بأن العرب وحدهم ، دون سائر الشعوب ، ذموا البخل وامتدحوا الكرم ، لأنّ في الآداب العالمية من القصص والطرائف والتمثيليات والأشعار ما يُثبت أن النفس البشرية ، أيّاً كان نسب صاحبها ، ومهما كان الوطن الذي ينتمي اليه، تأنف من الصغائر التي تتمثّل في تصرفات البخلاء ، وقد عميت بصائرهم عن أن يتبيّنوا حقيقة أنفسهم ، وإذا البخيل منهم يعتقد ، بتصرفاته ، أن الناس أغبياء لا يدركون مغزى هذه التصرفات، وفوق ذلك ، فهو يعمى عن أن يرى حقيقة نقيصته ، فإذا به مريض مزمن ، واذا الدواء لا ينجع في شفائه من مرضه ، هذا الى أن القرش يذلّه ، والدرهم يميت مروءته ، والفلس يحطم ما تبقى له من كبرياء نفسه [1]

ولكن مشاركة الشعوب الأخرى للعرب في هذا الشعور السليم ، لا تنفي كون العرب قد فاقت شهرتهم ، في مضمار الجود والسماح ، شهرة سائر شعوب العالم ، وخصوصاً تلك التي كان لها اتصال مباشر مع العرب ، ممن لم

---

١ - راجع كتابنا (الاعلام والفنون الادبية) صفحة ١٣٦ - الطبعة الثانية ١٩٦٦ ؛ وكذلك مقدمتنا لكتاب البخلاء للجاحظ ، صفحة ٥ - الطبعة الاولى ١٩٦٩

لم تكن لتؤمن كثيراً بالجود ، على أنه مزية حسنة ، وقديمــاً قال الشاعر :
« والضدّ يظهر حسنَه الضدُّ » .

الجود صفة من صفات اللّه

ولقد قال ابن عبد ربه القرطبي في كتابه الشهــير « العقد الفريد » : إنَّ أشرف ملابس الدنيا ، وأزينهالحللها ، وأرفعها لذمّ ، وأسترها لعيب ،كرم طبيعة يتحلى بها السمح السريّ ، والجواد السخيّ، ولو لم يكن في الكرم إلاّ أنه صفة من صفات الله تعالى، تسمّي بها ، فهو الكريم عز وجل ، ومن كان كريماً من خلقه ، فقد تسمّى باسمه ، واحتذى على صفته » وقال النبي صلى الله عليــه وسلم : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » ، وقال الحسن ، والحسين ، لعبد الله بن جعفر : « انك قد أسرفت في بذل المال » ، قال : « بأبي أنتما ، إن الله قد عوّدني أن يتفضّل عليّ ، وعوّدته أن أتفضّل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عنّي . »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصطنــاع المعروف يقي مصارع السُّوء » ، وقال : « ان الله يحب الجود ومكــارم الاخلاق ، ويكره سفاسفهــا » .

وقال اكثم بن صيفي : « ذلّلوا أخلاقكم للمطالب ، وقودوها الى المحامد ، وعلّموها المكارم ، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم ، وصِلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ، ولا تعتادوا البُخل فتتعجّلوا الفقر . »

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : « من رزقه الله رزقاً حسناً فلينفق منه سراً وجهراً ، حتى يكون أسعد الناس ، فإنّما يترك ما يترك لأحد رجلين : إما لمصلح ، فلا يقل عليه شيء ، وإمّا لمُفسدٍ فلا يبقى له شيء . »

وقال أبو ذر : « ان لك في مالك شريكين : الحدثان والوارث ، فإن استطعت أن لا تكون ابْخَسَ الشركاء ، فافعل . »

وقال الأنصاري :

وأوصيكمُ بالله أوّلَ وهلةٍ	وأحسابكم ، والبرّ بالله أول،
وإن قومكم ساروا فلا تحسدوهم	وإن كنتمُ أهل السيادة فاعدلوا
وان انتم أعوزتمُ ، فتعفّفوا ،	وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

وأنشد لابن عباس ، رضي الله عنهما ·

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى	وأعمل فكر الليل ، والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يَجِدْ لَهَا	سواي ، ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همّه عن خناقهِ	وزاوله الهمّ الطروق المساور
وكان لـه فضلٌ عليّ بظنّه	بي الخير ، اني للذي ظنّ شاكرٌ

الجودُ ، عند القبائل للعربية

ولقد أورد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (البخلاء) حديثاً مطولاً عن الجود ، وعن اتصاف القبائل العربية به ، يدور على لسان ابي

العاص بن عبد الوهاب ، بن عبد المجيد للثقفي ، في رسالته الى الثقفي ، فاستشهد بقول معاوية : (من لم يكن من بني عبد المطّلب جواداً ، فهو حميل ، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعاً فهو لزيق ، ومن لم يكن من بني المغيرة تيّاهاً ، فهو سفيه) وبقول سلم بن قتيبة: « إذا رأيت الثقفي يعز من غير طعام ، ويكسب لغير الفاق ، فبهرجه ، ثم بهرجه، ثم بهرجه » ،وكذلك بقوله ابن ابي بردة : « لولا شباب ثقيف وسفهاؤهم[1] ، ما كان لأهل البصرة مال » .

دفاع عن الجود

وقد قال الجاحظ ، بعد ذلك ، موضحاً فضل الجود : إن الله جواد لا يبخل، وصدوق لايكذب، ووفيّ لا يغدر ،وحليم لايعجل،وعدل لايظلم .وقد أمرنا بالجود ، ونهانا عن البخل ، وأمرنا بالصدق ، ونهانا عن الكذب ، وأمرنا بالحلم ونهانا عن العجلة ، وأمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم، وأمرنا بالوفاء ونهانا عن الغدر ، فلم يأمرنا إلاّ بما اختاره لنفسه، ولم يزجرنا إلاّ عمّا لم يرضه لنفسه . وقد قالوا بأجمعهم : « إن الله أجود الاجودين ، وأمجد الأمجدين » ، كما قالوا : « أرحم الراحمين ، وأحسن الخالقين » . وقالوا في التأديب لسائليهم ، والتعليم لأجوادهم : « لا تجاودوا الله ، فإن الله جلّ ذكره أجودُ وأمجد . »

١ـ المعروف، قانوناً ، ان السفيه هو الذي لا يحسن التصرف بماله ، لانه ينفقه في وجوه لا منفعة له منها ؛ ولذلك يحجر عليه ؛ ويجعل له على ماله ،ولي .

وذكر نفسه ، جلّ جلالُه وتقدّست أسماؤه ، فقال : « ذو الفضل العظيم » ، و « ذي الطَّول ، لا إله إلاّ هو » ، وقال : « ذو الجلال والإكرام » .

جود للنبي وبني هاشم

وذكروا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا . لم يضع درهماً على درهم ، ولا لبنة على لبنة ، وملك جزيرة العرب ، فقبض الصدقات، وجُبيت له الأموال ما بين عذار العراق ، الى شحر عمان ، الى أقصى مخاليف اليمن، ثم توفي وعليه دين، ودرعه مرهونة. ولم يُسأل حاجةً قطّ فقال : « لا » ، وكان ، إذا سُئل ، أعطى ، وإذا وعد أو أطمع ، كان وعده كالعيان ، وإطماعه كالإنجاز . ومدحته الشعراء بالجود ، وذكرته الخطباء بالسماح ، ولقد يهب الرجُل الواحد ، الضاجعةَ من الشاء ، والعرج من الابل ، وكان أكثر ما يهب الملك من العرب مائة بعير ، فيُقال : « وهب هنيدة » ، وانّما يقال ذلك اذا أريد بالقول غاية المدح . ولقد وهب لرجل ألف بعير ، فلمّا رآها تزدحم في الوادي ، قال : « أشهد أنك نبيّ ، وما هذا ممّا تجودُ به الأنفس » .

وفخرت هاشم على سائر قريش ، فقالوا : « نحن أطعمُ للطعام، وأضرب للهام » ، وذكرها بعض العلماء ، فقالوا : (أجوادٌ مجّادٌ ، ذوو ألسنة حداد) .

وأجمعت الأمم كلُّها ، بخيلُها وسخيّها وممزوجها ، على ذمّ البُخل وحمد الجود، كما أجمعوا على ذمّ الكذب وحمد الصدق، وقالوا : (افضل

الجود ، الجود بالمجهود) ، وحتى قالوا في جهد المقلّ ، وفيمن أخرج الجهد ، وأعطى الكل ، وحتى جعلوا لمن جاد بنفســه فضيلةً على مَن جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعةٍ ، لو كان في القوم حاتمٌ   على جوده ، ضنّت به نفس حاتم

ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد جاد بجوبائهِ عند المصافنة ، فما رأينا عربياً سفّه حلم حاتم بجوده بجميــع ماله ، ولا رأينا احداً منهم سفّه حلم كعب على جوده بنفسه ، بــل جعلوا ذلــك من كعب لإياد مفخراً ، وجعلوا ذلك من حاتم لطيء مأثرة ، ثم لعدنان على قحطان ، ثم للعرب على العجم ، ثم لسكان جزيرة العرب ، ولأهل تلك التربة ، على سائر الجزائر والترب .

مكانة الجواد

وورد كذلك في رسالة أبي العاص الى الثقفي : ولم نر الأمّة أبغضت جواداً قط ، ولا حقرته ، بل أحبته وأعظمته ، بل أحبّت عقبه ، وأعظمت من اجله رهطه . ولا وجدناهم أبغضوا جواداً ، لمجاوزته حــدّ الجود الى السرف ، ولا حقرته ، بل وجدناهم يتعلّمون مناقبه ، ويدّارسون محاسنه ، وحتى أضافوا اليه من نوادر الجميل ما لم يفعله ، ونحلوه من غرائب الكرم ما لم يكن يبلغه .

ولذلك زعموا ان الثناء في الدنيا ، يُضاعَف كما تضاعف الحسنات ، في الآخرة. نعم ، وحتى أضافوا إليه كلّ مديح شارد ، وكل معروف مجهول الصاحب . ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم للبخيل على ضدّ هذه الصفــة ، وعلى

خلاف هذا المذهب ، وجدناهم يبغضونه مرةً ، ويحقرونه مرةً ، ويبغضون بفضل بغضه ، ولده ، ويحتقرون بفضل احتقارهم له ، رهطه ، ويضيفون إليه من نوادر اللؤم ما لم يبلغه ، ومن غرائب البُخل ما لم يفعل ، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء ، بقدر ما ضاعفوا للجواد من حُسن الثناء.

... ومكانة البخيل

وبعدما يدافع أبو عثمان الجاحظ عن الجواد ، ويظهر سموّ مكانته في الدنيا ، وجميل ثوابه في الآخرة ، يحدّد البخلاء ، على اختلافهم ، ويفضح مساوئهم وتكالبهم على المادة الرخيصة ، وتعبّدهم للمال ، وخطل تصرّفهم وسوء تدبيرهم ، فيوضح أن : البخيل عنده ليس هو الذي يبخل على نفسه فقط ، فقد يستحق عندهم اسم البخل ، ويستوجب الذّم ، من لا يدعُ لنفسه هوىً إلا ركبه ، ولا حاجة إلا قضاها ، ولا شهوة إلا ركبها ، وبلغ فيها غايتها ، وانما يقع عليه اسم البخيل إذا كان زاهداً في كل ما أوجب الشكر ، ونوّه بالذكر ، وأذخر الأجر.

وقد يعلق البخيل على نفسه من المؤن ، ويُلزمها من الكلف ، ويتخذ من الجواري والخدم ، ومن الدوابّ والحشم ، ومن الآنية العجيبة ، ومن البزّة الفاخرة ، والشارة الحسنة ، ما يربي على نفقة السخيّ المثري . ويُضعف على جود الجواد الكريم . فيذهب ماله وهو مذموم ، ويتغير حاله وهو ملوم ، وربما غلب عليه حبُ القيان ، واستهتر بالخصيان ، وربما أفرط في حبّ الصيد ، واستولى عليه حبُ المراكب . وربما كان اتلافهُ في العرس والخرس والوليمة ، واسرافه في الاعذار وفي العقيقة ، والوكيرة . وربّما

ذهبت أمواله في الودائع . وربما كان شديد البخل ، شديد الحبّ للذكر ، ويكون بخله أوسخ ، ولؤمه أقبح ، فينفق أمواله . ويُتلف خزائنه . ولم يخرج كفافاً . ولم ينجُ سليماً .

كأنّك لم ترَ بخيلاً مخدوعاً، وبخيلاً مفتوناً، وبخيلاً مضيافاً،وبخيلاً نفّاجاً ، أو بخيلاً ذهب ماله في البناء ، او بخيلاً ذهب ماله في الكيمياء، أو بخيلاً أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى امل خائب ، وفي طلب الولايات، والدخول في القبالات ، وكانت فتنتُه بما يؤمن من الامرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضّة . قد رأيناه يُنفق على مائدته وفاكهته ألف درهم في كل يوم ، وعندَه في كل يوم عرس ، ولأن يطعن طاعن في الاسلام أهونُ عليه من أن يطعن في الرغيف الثاني ، ولا شقّ عصا الذين أشد عليه من شقّ رغيف . لا يعدّ الثلمة في عرضه ثلمة ، ويعدّها في ثريدته من أعظم الثلم [1] .

حسن للثناء ، والجود مع الإقلال

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أردتُم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه ، فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء » ، وهذا الحديث الشريف يصدّق ما أورده الجاحظ على لسان أبي العاص في رسالته إلى الثقفي ، باعتبـــار أن حسن الثناء هو من نعم الخالق على المخلوق .

١ـ راجع كتاب (الحيوان) للجاحظ ـ تحقيق فوزي عطوي ـ الشركة اللبنانية للكتاب ـ طبعة ١٩٦٩ ـ صفحة (١٤٢ ـ ١٤٥) .

وقيل لبعض الحكماء : « ما أفادك الدهر ؟ » ، قال : « العلم به » ، قيل: « فما أحمد الاشياء ؟ » قال : « أن تبقى للانسان أحدوثة حسنة . »

وقال الأحنف بن قيس : « ما ادّخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئاً أفضل من اصطناع المعروف ، عند ذوي الاحساب . »

وقال ابراهيم السندي : « قلت لرجل من أهل الكوفـة ، ومن وجوه أهلها ، كان لا يجف لبده ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته ، في طلب حوائج الرجال ، وادخال المرافق على الضعفاء : (أخبرني عن الحـالة التي خففت عليك النصب ، وهوّنت عليـك التعب في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟) قال : (والله ، سمعت تغريد الطير بالاسحار ، في فروع الاشجار ، وسمعتُ خفق أوتار العيدان ، وترجيع أصوات القيان ، فمـا طربتُ من صوتٍ ، قطّ ، طربي من لثناء حسن ، بلسان حسن ، على رجل قد أحسن ، ومن شكر حرٍّ ، لمنعم حر ، ومن شفاعـة محتسب لطـالب شكر) . قال ابراهيم : (لله أبوك ! لقد حشيت كرماً) [1]

والثناء الحسن موفور لمصطنع المعروف ، ولو مع الإقلال ، لانّ فضل الجواد في هذه الحال أعمّ من فضل من كان ميسور الحال ، وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، في الحديث على الانصار : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون .)

---

١ - راجع كتاب (مختار العقد الفريد) لابن عبد ربه ـ طبعة ١٩٢٥ ـ المكتبة المحمودية التجارية بمصر ـ صفحة ٥٩ و ٦٠ ـ ترتيب عثمان خليل .

وقال عليه السلام : (أفضل العطية جهد المقل) . وقال حبيب للحسن ابن وهب الكاتب ، وقد أهدى اليه قلماً :

قد بعثنا إليك أكرمك الله بشيء ، فكن له ذا قبول
لا تقسه الى جد كفك الغمر ، ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية مني ان جهد المقل غير القليل .

وقال أبو هريرة : (ما وددتُ أن أحداً ولدتني أمه إلا جعفر بن ابي طالب ، تبعته وانا جائع ، فلما بلغ الباب،التفت فرآني ، فقال : (ادخل) ، فدخلت ، فبحث في البيت ، فلم يجد إلا نحياً كان فيه سمن ، فأنزله من رف لهم ، فشقه بين أيدينا ، فجعلنا نعلق ما فيه ، وهو يقول :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلا بما تجد .

ولعل الشاعر عناه ، حين قال :

لا تعرضن لجعفرٍ متشبهاً بندى يديه ، فلستَ من أنداده .

أو لعل الشاعر عنى بهذا القول جعفراً البرمكي المشهور بجوده .

وكثيراً ما فاخر الشعراء بجودهم ، معتبرين أن ما يبذلونه من المال ، في اصطناعهم المعروف ، يعفيهم من واجب الزكاة ، ومن ذلك قول أحدهم :

وما وجبت عليّ زكاةُ مالٍ وهل تجب الزكاةُ على الجوادِ .

وامتدحوا الذي يجود ، دون ما سؤال من محتاج او فقير ، لانّ المبادرة الى العطاء ، بغير سؤال ، أكرم من الجود ، استجابة لسؤال ، وعلى ضوء هذا الواقع ، جاء قول الإمام عليّ ، كرم الله وجهه ، لاصحابه : (من كانت له إليّ منكم حاجة ، فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .)

وقال أكثم بن صيفي : (كل سؤال ، وإن قلّ ، اكثر من نوال ، وإن جلّ .)

وقال بشار بن برد فيمن يُعطي لأن العطاء طبعٌ أصيلٌ فيه :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ، ولكن يلذّ طعم العطاء،
لا، ولا ان يُقال شيمتُه الجو دُ ، ولكن طبائع الآبـاءِ .

وقالوا أيضاً : (السخيُّ من كان مسروراً ببذله ، متبرعاً بعطائـه ، لا يلتمس عرض دُنيا ، فيحبط عملـه ، ولا طلب مكافـأة ، فيسقط شكره ، ويكون مثله فيا أعطى مثل الصائد ، يُلقي الحَبّ للطائر ، لا يريد نفعـه ، ولكن نفع نفسه .) [1]

الجودُ ، وعمل الخير المطلق

ولقد ذهب الشعراء والكتاب شتى المذاهب فيا خص أولئك الذين توّجه اليهم أعمال التكريم، والمعروف، والجود ، فمنهم من دعا الى تكريم المستحق الذي يقدّر العمل الطيب، لئلا يكون أكرامك إياه دافعاً له على التمرّد عليك، نظراً لضعة نفسه ، وصغر أصلـه وفصله . هذا مـا قال به ابو الطيب المتنبـي :

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته وإن انت أكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مُضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وهو كما ترى ، مباينٌ لما قاله الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

---

١ ـــ المرجع السابق .

ولما قاله الآخر :

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه فلا يضيع جميلٌ اينما زُرعا

وفي الأمثال العربية : (اصنع الخير ولو الى كلب .)

ففي هذه الأقوال دعوة مطلقة الى عمل الخير ، لأنه خير ، دون ما نظر الى مستحق أو غير مستحق ، وقد جاء في الاثر : « ان أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة » .

لذلك كان لكل عمل حسابه عند ربّ العالمين : « فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يرَهُ ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يرَهُ . »

وقالوا : (خيرُ الناس،خيرالناس للناس،وشرّ الناس،شرُّ الناس للناس .)

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (ألا أنبئكم بإشراركم ؟) قالوا : (بلى يا رسول الله !) قال : (من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده !) .

جود الملوك والكبراء

وتطالعنا كتب الأدب بأخبار الملوك والكبراء الذين كان يتوافد عليهم الشعراء من كل صوب وحدب ، مادحين ، فينالون منهم الجوائز والنوافل ، كما تروي لنا تلك الكتب ما كان يجري بين الشعراء وممدوحيهم من أمور غدت من الطرائف البديعة التي يتناقلها الرواة والمحدثون .

عبد الملك والحارث المخزومي

ومما يروى عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ان الحارث بن خالد المخزومي قـدم اليه ، مادحاً ، فلم يصله ، فرجع الحارث وقال في عبـد الملك :

صحبتكُ اذ عيني عليها غشاوةٌ فلمّا انجلت قطّعت نفسي أذيمها
حسبت عليك النفس حتى كأنما بكفّيك يجري بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك ، فأرسل اليه ، فردّه ، وقال : (أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي) قال : (لا ولكني اشتقت الى اهلي ووطني ، ووجدتُ فضلاً من القول ، فقلت ، وعليّ دينٌ لزمته .)

قال : (وكم دينك ؟) قال : (ثلاثون ألفاً)

فولاّه مكة .

يزيد بن منصور وبشار

وممّا يروى عن يزيد بن منصور أنه كان يُجري على بشار بن برد وظيفة في كل شهر ثم قطعها عنه ، فقال بشار :

أبا خالدٍ ما زلت سابح غمرة صغيراً ، فلمّا شبْتَ، خيّمت بالشاطي
جريت زماناً سابقاً، ثم لم تزل تــأخّر حتى جئت تقطو مع القاطي
كسنّور عبد الله بيعَ بدرهمٍ صغيراً ، فلمّــا شبّ بيع بقيراطِ

ربيعة الرقّي ويزيد بن حاتم

وروي ان ربيعة الرقيّ مدح يزيد بن حاتم الأزدي ، وهو والي مصر ، فاستبطأه ربيعة ، فشخص عنه من مصر ، وقال :

أراني ، ولا كفران لله راجعاً　　بخفّي حنينٍ من نوال ابن حاتمِ

فبلغ قوله يزيد بن حاتم ، فأرسل في طلبه ، فردّ إليه ، فلما دخل عليه، قـــال :

(انت القائل : « اراني ولا كفر انلله راجعاً ، ؟ ») قال: « نعم »

قال ، (فهل قلت غير هذا ؟) قال ، (لا) .

قال : (فو الله لترجعنّ بخفي حنينٍ ، مملوءتين مالاً) ، فأمره بخلع نعليه ، ومُلئتا مالاً .

فقال فيه ، لمّا عُزل عن مصر ، وولي يزيد بن حاتم السلمي مكانه :

لشتان ما بين اليزيدين في النّدى　　يزيد سليم ، والاغرّ ابن حاتم
فهمّ الفتى الازديّ إنفاق مالهِ ،　　وهمّ الفتى القيسيّ جمع الدراهم
فلا يحسب التمتامُ أنيّ هجوتُه　　ولكنني فضّلتُ اهــل المكارمِ

سعيد بن سلم والاعرابي

وروى سعيد بن سلم ان اعرابياً مدحه ، فأبلغ ، فقال :

ألا قُل لساري الليل لا تخش ضلةً سعيد بن سلم ، نُور كل بلاد

لنا سيدٌ اربى على كل سيّدٍ جواد حثا في وجه كل جوادِ

قال : فتأخرتُ عنه قليلا ، فهجاني ، فأبلغ ، فقال :

لكل اخي مدح ثوابٌ علمتــه وليس لمدح الباهليّ ثوابُ

مدحت سعيداً ، والمديح مهزّة، فكان كصفوان عليــه ترابُ

وقال شاعر آخر ، في مثل هذا المعنى :

لئن اخطــأت في مدحيـ ـكَ ، ما اخطأتُ في منعي

لقـــد انزلت حاجاتي بواد غيـر ذي زرع

ما أقلَّ الكرام !

وقال الشاعر :

تعيّرنا انّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها : ان الكرام قليلُ

وما ضرنا أنا قليلٌ، وجارُنا عزيز، وجارُ الاكثرين ذليل

وقال دعبل الشاعر :

ما اكثر الناس، بل يا ما اقلّهمُ والله يعلم انيّ لم اُقـــل فنــداً

إني لأغلق عيني ، ثم افتحُهـا على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

فالكرام قلائل ، وان كثروا ، لان الكرم لا يُحصى في الفضائل إلا اذا

كان متجرداً من المصالح والاهداف الانانية الذاتية التي تشوّه صورة الفضيلة المتمثّلة في الكرام .

وكذلك الاصحاب والاصدقاء . ألم يقل الشاعر :

وما اكثر الاصحاب حين تعدّهم لكنهم في النائبات قليلُ

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة .

لذا كان اصطحاب القليل آثر من اصطحاب الكثير ، فالنطف العذاب اكثر ريّاً من اللجج الملاح ، على حدّ تعبير ابن الرومي :

وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الريّ في النطف العذاب ،

وهـذا هو السبب الذي حمله على اطلاق هتافـه : (فلا تستكثرن من الصحاب) .

اجواد العرب في الجاهلية

ولو لم يكن الكرام قلائل ، لما استطاع تاريخ الأدب العربي أن يحصي ، على سبيل الحصر تقريباً ، عدداً ضئيلاً من أجواد العرب في الجاهليـة وفي العهد الاسلامي .

وقد ذهب بعض المؤرخين والعلماء ، ومنهم ابن عبد ربّه ، في عقده الفريد ، إلى ان الذين انتهى اليهم الجود ، في الجاهلية ، ثلاثة نفر : حاتم بن

عبد الله الطائي ، وهرم بن سنان المرّي ، وكعب بن مامة الايادى . ولكن المضروب به المثل حاتم وحده ، ولذلك سيكون حديثنا عليه اكثر تفصيلاً من حديثنا على سواه .

لبيد بن ربيعة العامري

إلا أن التاريخ العربي يروي لنا ان لبيد بن ربيعة كان من الاجواد المشهورين في الجاهلية ، وإن كان لبيد قد ادرك الاسلام ، فيما بعد ، واسلم على يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فقد روي أنه نذر في الجاهلية ان لا تهبّ الصبا إلا اطعم، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبّـا ، يوماً ، والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعد الوليد المنبر ، فخطب الناس ، ثم قال : (إن اخاكم لبيداً قد نـَذ َرَ في الجاهلية أن لا تهبّ الصبّـا إلا أطعم ، وهذا اليوم من ايامه ، وقـد هبت الصَّبا فأعينوه ، وأنـا أول من فعل .)

ثم نزل عن المنبر ، فأرسل اليه مائة بكرة ، وكتب اليه بأبيات قالها وهي :

أرى الجزّار يشحذ شفرتيه	اذا هبت رياح ابي عقيـل
أشمّ الانف ، أصيد، عامريّ	طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفريّ بحلفتيـه	على العلاّت والمال القليـل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه	ذيول صبا تجاوب بالأصيل

فلما اتاه الشعر ، وكان ترك قول الشعر ، قال لابنة له خماسية :

(اجيبيه، فلقد رأيتني وما اعيا بجواب شاعر .) فقالت :

إذا هبّت رياح أبي عقيـلٍ ذكرنا عند هبّتها الوليدا
أشمّ الأنف ، أصيد ، عبشمياً أعان على مروءتـه لبيدا
بأمثال الهضاب كأنّ ركبـاً عليهـا من بني حام ، قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناهـا ، فأطعمنا الثريدا
فعد ، إنّ الكريم له معاد وظنّي بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد : (أحسنتِ ، لولا أنـك استزدتِه .) فقالت : (والله ما استزدته إلاّ أنه ملك ، ولو كان سوقة ، لم أفعل)

ويروى أن لبيداً ، لما حضره الموت، قال لابن اخيه : (إذا قُبض أبوك، فأقبله القبلة ، وسجّه بثوبه ، ولاّ تصرخنّ عليـه صارخة ، وانظر جفنتيّ اللتين كنت أصنعُها ،فاصنعْها، ثم احملها الى المسجد ، فإذا سلّم الإمام ، فقدمهما لهم ، فاذا طعموا ، فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم) ، ففعـل ذلك . (١)

---

(١)لمزيد من اخبار لبيد، راجع (المعلقات واخبار شعرائها) للمرحوم الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي ــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ــ طبعة ١٣٥٣ هـ ؛ وكذلك كتابنا « المعلقات العشر ـ دراسة ونصوص » الشركة اللبنانية للكتاب . طبعة ١٩٦٩

هرم بن سنان المرّي

أما هرم بن سنان ، الذي قام مع الحارث بتقديم ديات قتلى بني عبس وذبيان ، في حرب (داحس والغبراء) الشهيرة ، من مالهما الخاص ، فقد كان أحد الأجواد الكبار في الجاهلية ، وهو الذي استأثر بمدائح الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى .

قال الأصمعي : بلغني أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلاّ أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدةً او فرساً ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان اذا رآه في ملأ ، قال : (انعموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت .)

وعطايا هرم بن سنان لزهير مشهورة ، حتى لقد قال محمد الأبوصيري في (البردة) ، يخاطب رسول الله عليه الصلاة والسلام :

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا (زهير) بما أثنى على (هرم).

وروى الأصمعي قال : (قال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان : (أنشدني مدح زهير أباك)، فأنشده، فقال عمر : (إن كان ليحسن القول فيكم). فقال : (والله إن كنّا لنحسن له العطاء .) فقال : (ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم .)

وروي ايضاً ان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال لبعض ولد زهير : ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك ؟) قال : (ابلاها الدهر) قال : لكن الحلل التي كساها ابوك هرماً لا يبليها الدهر) .

ورووا أن عائشة ، زوجة الرسول ، خاطبت احدى بنات زهير ، بمثل هذا القول ايضاً .

ومما قاله زهير بن ابي سلمى في هرم بن سنان :

إن تلقَ يوماً ، على علاّته ، هرِماً   تلقَ السّماحة منه ، والنّدى خلقا .

وفي بني سنان يقول زهير ايضاً :

قوم أبوهم سنانٌ حين تنسبهم   طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ   قوم بأوّلهم او مجدهم قعدوا
جنّ إذا فزعوا ، أنسٌ اذا أمنوا   مُرزّأون ، بهاليلٌ ، إذا قصدوا
محسّـــدون على ما كان من نِعمٍ   لا ينزع الله عنهـــم ماله حُسِدوا

كعب بن مامة الإيادي

وكعب بن مامة ، هو الآخر ، من الأجواد المشاهير ، في جاهلية العرب ، ولكن اخباره قليلة ، ولم يذكروا عنه الاّ إيثاره رفيقه السعديّ ، على نفسه ، بالماء ، حتى مات عطشاً ، ونجا السعديّ ، وهـــذا ولا ريب اكثر استحقاقاً للثناء من اي جودٍ عداه ، وفيه يقول حبيب :

يجود بالنفس اذ ضنّ البخيلُ بها   والجود بالنفس اقصى غاية الجودِ .

وقد سبقت الإشارة الى ما أورده الجاحظ في (الحيوان) على لسان أبي العاص ، حيث قال ، فيما عني كعب مامـــة : (.. وحتى جعلوا لمن جاد بنفسه فضيلة على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعةٍ ، لو كان في القوم حاتمٌ   على جوده ضنّت به نفس حاتم

ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد جاد بحوبائه عند المصافنة . فما رأينا عربياً سفّه حلم حاتم بجوده بجميع ماله ، ولا رأينا احداً منهم سفّه حلم كعب على جوده بنفسه ، بل جعلوا ذلك من كعب لإياد مفخراً ، وجعلوا ذلك من حاتم لطيء مأثرة ...)

والى كعب بن مامة ، وحاتم الطائي ، اشار احمد شوقي امير الشعراء ، في قصيدته التي نظمها في (مشروع ملنر) الذي عارضه المصريون عام ١٩٢٠ ، حيث يقول :

(لا تستقلّوه فما دهركم   بحاتم الجود ، ولا كعبه .)

حاتم بن عبد اللّه الطائي

وأما حاتم بن عبد الله الطائي فهو اكثر العرب ، منذ الجاهلية ، الى يومنا هذا ، شهرة في الجود ، حتى لينسب كل جود اليه ، فيُقال : (جودٌ حاتميّ) . ولم تقف شهرة حاتم ، شاعراً مبدعاً ، وجواداً اسطورياً ، عند إطار الأدب العربي وحسب ، بل تعدته الى الآداب الاجنبية . ولقد قرأنا في مجموعة (لاروس انسيكلوبيديك) الكبرى عن حاتم ما يلي :

«HATIM AL – TA'I – poête arabe antéislamique (VI^ème – VII^ème S.) , Célébre par une générosité devenue proverbiale , il est le héros d'un roman populaire en Iran , et dont une adaptatton existe en malais » (1)

---

(١) راجع (Grand Larousse Encyclopédique -- p. 799 - tome 5ᵉᵉ - 1962»

والواقع ان ما ذاع عن كرم حاتم غدا مادةً مغريةً لكتّاب الروايات ، ومدبّجي الأساطير المُغرية ، المغرقة في الخيال ، وذلك شأن الآداب الانسانية التي تستهوي الشعوب ، على اختلافها .

جود أمّ حاتم

ولقد ولد حاتم في قبيلته طيء ، وكان ابوه عبد الله بن سعد بن الحشرج من سادة القبيلة ، اما امّه فكانت عتبة بنت عفيف ، وهي التي تولّت تربية ابنها حاتم ، لأنّ زوجها مات ، وحاتم طفل صغير ، فورّثت ابنها حبّ الكرم ، لأن ما وصلنا من اخبارها يشير الى طبع ، فيها ، جواد ، فهي لا تدّخر شيئاً ، ولا تمنع شيئاً عن يسألها . وقد رووا انها كانت ، وهي بين اخوتها ، ذات يسار ، ومن اسخى الناس وأقراهم للضيف ، لا تمسك شيئاً تملكهُ . فلما رأى اخوتها إتلافها ، حجروا عليها ، ومنعوها مالها ، فمكثت دهراً لا يُدفَع اليها شيء ، حتى اذا ظنّوا انها وجدت ألم ذلك ، اعطوها قطعة من الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن ، كانت تأتيها في كل سنة ، تسالُها ، فقالت لها : (دونك هذه القطعة من الإبل ، فخُذيها ، فوالله لقد عضّني من الجوع ما لا امنع معه سائلا ابداً .) ، ثم انشأت تقول :

لعمري، لقِدماً عضّني الجوع عضّة ، فآليتُ ألاّ امنعَ الدهر ، جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليومَ : أعفِني فإن انت لم تفعل ، فعضّ الأصابعا

فماذا عساكم ان تقولوا لأُختكم ، سوى عذلكم، او عذل من كان مانعا؟
وماذا ترون اليوم إلاّ طبيعة ، فكيف بتركي، يا ابن أُمّ، الطبائعا ؟

جود جدّ حاتم

كذلك كان شأن جدّ حاتم ، سعد بن الحشرج الذي قال الشاعر فيه :

إنّ المروءة والسّماحة والنّدى في قبّة ضربت على ابن الحشرج

ولكن حاتماً فاق جده جوداً وسماحاً ، إذ روي ان حاتماً ، لما ترعرع ، جعل يخرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه اكل ، وإن لم يجد طرحه . فلمّا رأى جدّه ذلك منه ، قال له : (إلحق بالإبل) فخرج اليها ، ووهب له جارية وفرساً وفلوها .

فلما أتى الإبل ، طفق يبغي الناس ، فلا يجدهم ، ويأتي الطريق ، فلا يجد عليه احداً ، فبينما هو كذلك ، اذ بصر بركب على الطريق ، فأتاهم ، فقالوا له : (يا فتى ، هل من قِرى ؟) فقال : (تسألوني عن قرى ، وقد ترون الإبل) ثم إنه نحر لهم ثلاثة من الإبل ، وكان ضيوفه: عبيد بن الأبرص، وبشر بن ابي خازم ، والنابغة الذبياني ... فقالوا فيه اشعاراً ، وامتدحوه بها ، فذكروا فعله . فقال حاتم : (اردت ان احسن اليكم ، فكان لكم الفضل عليّ ، وانا اعاهد الله ان اضرب عراقيب إبلي عن آخرها ، او تقدموا اليها فتقتسموها .) ، ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، ومضوا على سفرهم الى النعمان .

وإن جدّه سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : (اين الإبل) ؟ فقــال له : (طوقتك بها ، طوق الحمامة ، مجد الدهر ، وكرماً لا يزال الرجــل يحمل بيت شعر أثني به علينا عوضاً من إبلك .)

فلما سمع جدّه قال : (أبإبلي فعلت ؟) قال : (نعم) . قال : (والله ، لا أساكنك ابداً) فخرج بأهله ، وترك حاتماً، ومعه جاريته وفرسه وفلوها، وخلّفه في داره .

جود بنت حاتم

وانتقل طبع الجود من حاتم الى ابنته سفّانة التي كانت كجدتها وأبيها من اجود نساء العرب . روى ابن الكلبي ان اباها كان يعطيها القطعة من الإبل بعد القطعة ، فتهبها وتعطيها الناس . فقال لها : (يا بنيّة ، انّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه . فإمّا ان أُمسك وتعطي ، فانّه لا يبقي على هذا شيء .) فقالت: (والله لا أمسك ابداً !) قال : (وانا لا امسك .) قالت: (لا نتجاور) . فقاسمها ماله، وتباينا .

ولو حاولنا ان نحيط بالروايات التي ذُكرت او حيكت حول كرم حاتم الطائي ، لما اتّسع لذلك مجال هذه الدراسة الوجيزة ، ولكننا نكتفي بالبعض عن الكلّ ، في ايماءة الى الطبع الحاتمي الكريم الذي أثار دهشــة كل من من عرف حاتماً او سمع به .

قيصر الروم وفرس حاتم

قيل : إن أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود حاتم ، فاستغربها ، وكان قد بلغه أن لحاتم فرساً من كرام الخيل ، عزيزةً عنده ، فأرسل اليـــه بعض حجّابه ، يطلب منه الفرس هديّةً إليه، وهو يريد أن يمتحن سماحته بذلك. فلما دخل الحاجب ديار طيّ ، سأل عن ابيات حاتم طيّ ، حتى دخل عليه ، فاستقبله أحسن استقبال، ورحّب به، وهو لا يعلم أنه حاجب الملك. وكانت المواشي في المرعى ، فلم يجد إليها سبيلاً يقري ضيفـــه ، فنحر الفرس ، واضرم النار .

ثم دخل الى ضيفه يحادثه، فأعلمه أنه رسول قيصر، وقد حضر يستميحه الفرس ، فساءَ ذلك حاتماً وقال : (هلاّ أعلمتني قبل الآن ؟ فإني قد نحرتها لك ، إذ لم أجد جزوراً غيرها .)

فعجب الرسول من سخائه ، وقال : (والله لقـــد رأينا منك اكثر ممّا سمعنا .)

حاتم والاطفال الجياع

وحدّث الهيثم بن عديّ عمّن حدثه عن ملحان ابن اخي ماويّة ، امرأة حاتم ، قال : (قلتُ لماوية : (يا عمةُ حدثيني ببعض عجـــائب حاتم .) فقالت : (كل امره عجب ، فعن ايّه تسأل ؟) قلتُ : (حدثيني ما شئتِ) قالت : (اصابت الناسَ سنةٌ ، فأذهبت الخف والظلف ، فأتت ليلةٌ قـــد

أسهرَنا الجوع ، فأخذ عديّاً ، واخذتُ سفّانة ، وجعلنا نعلّلهما حتى ناما. ثم اقبل عليَّ يحدثني ويعلّلني بالحديث كي انام ، فرققت له ، لما به الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : (انمتِ غراراً ؟)

فلم اجب ، فسكت ، فنظر في فتق الخباء ، فاذا شيء قد اقبل ، فرفع رأسه ، فاذا امرأة ، فقال . (ما هذا ؟) قالت: (يا ابا سفّانة ! اتيتك من عند صبية جياع يتعاوون كالذئاب جوعاً) . فقال: (احضريني صبيانك ، فوالله لأشبعنّهم) .

فقمتُ سريعاً ، فقلتُ : (بماذا يا حاتم ؟فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل .) فقال : (والله لأُشبعَنّ صبيانك مع صبيانها) ، فلمّا جاءت ، قام الى فرسه ، فذبحها ، ثم قدح ناراً ، ثم اججّها ، ثم دفع اليها شفرة ، فقال : (اشتوي وكلي .) ثم قال : (ايقظي صبيانك)، فأيقظتهم ثم قال : (والله ان هذا للؤمٌ، تأكلون،واهل الصرم حالُهم مثل حالكم؟) فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ، فيقول . (انهضوا ، عليكم بالنار) فـأجتمعوا حول تلك الفرس، وتقنّع بكسائه ، فجلس ناحيةً، فما اصبحوا ومن الفرس على الأرض قليـلٌ ولا كثير إلا عظم وحافر ،وإنّه لأشد جوعـاً منهم ، وما ذاقه .)

حاتم الأسطوري

وكان حاتم الطائي ، فضلاً عن جوده الشهير ، فارساً مغواراً ، وشاعراً وجدانياً رقيقاً ، ولعلّ خير صورة لشخصية حاتم هي تلك التي رسمها ابن الأعرابي حيث قال :

(كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفّراً : اذا قاتل غلب ، واذا غنم أنهب ، واذا سُئل وهب ، واذا ضرب بالقداح فاز ، واذا سابق سبق ، واذا أسر أطلق. وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحد أمه ، وكان اذا أهلّ الشهر الأصمّ الذي كانت مضر تعظّمه في الجاهلية ، ينحر كل يوم عشرة من الإبل ، فأطعم الناس ، واجتمعوا اليه .)

ومما يروى عن حاتم ايضاً ان بعضهم مرّ في نفر من قومه بقبر حاتم ، فسألوه القِرى ، فقراهم .. وهو في القبر .. الى آخر الرواية .

وواضحٌ أن هذا الكلام هو من وحي الاساطير الخيالية التي تبقى مادة دسمة مغرية ، في الادب الشعبي ، يتناقلها السمّار في الليالي ، ويتحدث بها الفطريون الذين يؤخذون بألوان الخيال .

بخلاء العرب

ومثلما حدّدوا اجواد العرب ، قالوا ايضاً ان بخلاء العرب اربعة هم : الحطيئة ، حميد الارقط ، أبو الاسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان .

اما الحطيئة ، فقد مرّ بهانسان وهو على باب داره ، وبيده عصا ، فقال : (انا ضيف) ، فأشار الحطيئة الى العصا ، قائلا : (لكعاب الضيفان اعددتها .)

واما حميد الارقط ، فكان هجاءً للضيفان ، فحّاشاً عليهم ، نزل به مرةً

ضيوف ، فأطعمهم تمراً ، وهجاهم ، وذكر أنهم أكلوه بنواه . وكان حميد الارقط ألأم اللئام وابخلهم ، وكان مشهوراً بلقب (هجّاء الاضياف) ، وهو القائل في ضيف له ، يصف اكله ، بهذا البيت من قصيدة له :

ما بين لقمته الاولى ، اذا انحدرت   وبين اخرى تليها ، قيد اظفور

وقال فيه كذلك :

تجهّز كفـــاه ، ويحـــدر خلقـــه   الى الزور ما ضمّت عليه الانامل

واما ابو الاسود الدؤلي ، فتصدّق على سائل بتمرة ، فقال له : (جعل الله نصيبك من الجنّة مثلها !) وكان يقول : (لو اطعنا المساكين في اموالنا، كنّا اسوأ حالاً منهم .)

ويروى ان اعرابياً اكل مع ابي الاسود رطباً فأكثر ، فمدّ ابو الاسود يده الى رطبة ليتناولها ، فسبقهُ الاعرابي اليها ، فسقطت منه في التراب . فأخذها ابو الاسود ، قائلاً : (لا ادعها للشيطان يأكلها .) فقال الاعرابي : (والله ولا لجبريل وميكائيل ، لو ينزل من السماء ، ما تركها .)

وامّا خالد بن صفوان ، فكان يقول للدرهم ، اذا دخل عليه : ياعيّار ، كم تعير ، وكم تطوف وتطير ، لاطيلنّ حبسك .) ثم يطرحـــه في الصندوق، ويقفل عليه .

ومرةً سئل : (لم لا تنفق ، ومالك عريض ؟) فأجاب : (لأن الدهر اعرض منه .)[1]

---

١ ـ راجع كتاب (الأنس) لسمير شيخاني صفحة ٤٣٣ ـ طبعة ١٩٦٤

وعند الجاحظ الخبر اليقين ، عن خالد بن صفوان ، فيما كتبه عنه في كتاب (البخلاء)

بخيل يروي عن بخيل (أو بُخل هشام)

وعلى ذكر خالد بن صفوان ، فقد روى خالد عن بُخل هشام بن عبد الملك ، الخليفة الأموي الحادثة التالية : دخلتُ على هشام ، فأطرفته وحدثته ، فقال : (سل حاجتك .) فقلت : تزيد في عطائي عشرة دنانير.)

فأطرق حيناً ، وقال : (فيم ؟ وبم ؟ ولم ؟ العبادة احدثتها ، ام البلاء حسن ابليته في امير المؤمنين ؟ الا ، لا يا ابن صفوان ! ولو كان لكثر السؤال، ولم يحتمله بيت المال .)

فقلت : (وفّقك الله ، يا امير المؤمنين ، وسدّدك ، فأنت ، والله كما قال اخو خزاعة :

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه   صنيعةُ قربى،او صديقٌ تُوافِقُه
منعت ، وبعض المنع حزمٌ وقوةٌ ،   ولم يستلبك المال الاّ حقائقُه

بخل مروان بن ابي حفصة

ومن بخلاء العرب مروان بن ابي حفصة . فقد نزل به ضيف ، فأخلى له المنزل ، ثم هرب عنه مخافة ان يلزمه قِراه ، تلك الليلة ، فخرج الضيف ، واشترى ما يحتاج اليه ، ثم رجع ، وكتب اليه البيتين التاليين :

يا ايها الخارج من بيته وهارباً من شـدّة الخوفِ
ضيفك قد جاء بزادٍ له فارجع، لكن ضيفاً على الضيف

بخل زبيدة بن حميد الصيرفي

ومنهم زبيدة بن حميد الصيرفي ، فقد روي عنه انه استلف من بقال ، على بابه ، درهمين وقيراطاً ، فطله بها ستة اشهر ، ثم قضاه درهمين وثلاث حبات، فاغتاظ البقال ، وقال : (سبحان الله ! انت صاحب مائة الف دينار ، وانا بقال لا املك مائة فلس ، وانما اعيش بكدّي ، واستقضي الحبّة على بابك والحبتين . صاح على بابك حمال ، ولم يحضر ، تلك الساعة ، وكيلك، فأمنتك واسلفتك درهمين واربع شعيرات، فقضيتني، بعد ستة اشهر درهمين وثلاث شعيرات .

فقال زبيدة : (يا مجنون ، اسلفتني في الصيف ، وقضيتك في الشتـاء ، وثلاث شعيرات شتوية ، أوزَنُ من اربع صيفيّة لأنَّ هذه نديّة ، وتلك يابسة ، وما اشك انّ معك ، بعد هذا كله ، فضلاً .)

بخل محمد بن الجهم

ومن رؤساء أهل البُخل محمد بن الجهم ، وهو القائل : (وددتُ لو ان عشرة من الفقهاء ، وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء، وعشرة من الأدباء ، تواطئوا على ذميّ ، واستهلوا بشتمي ، حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق ، فلا يمتد إليّ أمل ، ولا ينبسط نحوي رجاء راجٍ .)

بخل أبي الطيب المتنبي

ويروى ان أبا الطيب المتنبي كان شديد البُخل ، فمدحه انسان بقصيدة ، فقال له : (كم أملّت منّا على مدحك ؟) فأجاب : (عشرة دنانير) . فقال له : (والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ، ما دفعت الك دانقاً .)

ومن عجب ان يكون المتنبي صاحب تلك الأبيات الذائعة التي تعلي الفضائل ، وتشيد بالمكارم ، وتدعو الى الكرم المنزّه عن المنّة ، حيث يقول :

اذا الجودُ لم يُرزقَ خلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسوباً ، ولا المال باقيا

وللنفس أخلاقٌ تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى، أم تساخيا ،

وهو القائل ، في هجاء كافور :

انّي نزلتُ بكذّابين ، ضيفُهم عن القِرى ، وعن الترحال محدودُ ،

جودُ الرجال من الايدي، وجودَهم من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ

الى ان يقول :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال : عظيم القدر، مقصودُ !!

ولكننا لا نستغرب ان يكون فعلُ الشاعر غير قوله ، لأنّ من المتعارف عليه ان ابلغ ما تحاضر عنه هو الامر الذي لا خبرة لك فيه ، فليس ثمّة ابلغ من البخيل حين يحاضر عن الكرم ، ولا ابلغ من الساقطة حين تحاضر

عن الفضيلة ، ولا أبلغ من الجبان حين يحاضر عن ضروب الشجاعة والبطولة ! !

ألم يقلُ بعض النقّاد والمؤرخين أنّ الجاحظ نفسه ، في اتخاذه موقف الدفاع عن الاجواد ، وفضحه لاسرار الاشحاء ، كان غير بريء من نقيصة البُخل الشديد ؟!

جود قتادة بن مسلمة الحنفي

ومن أجواد العرب ، في الجاهلية ، قتادة بن مسلمة الحنفي الذى اصاب قومَه سنة ، فأتوه ، فبذ لهم بذلاً جعلهم يلقبونه بـ (غيث الضريك) ، أي (عون الفقير) ، وضرب به المثل حتى قالوا :

(أقرى من غيث الضريك .)

وقد مدحه طرفة بن العبد البكري ، في قصيدة بدأها بتهديد المسيَّب بن علس ، وانتهى فيها بمدح قتادة [1] قائلاً :

أبلِغْ قتادةَ ، غير سائِلِه ، منه الثوابَ ، وعاجلَ الشَّكمِ
اني حمِدتُكَ للعشيرةِ ، إذ جـاءت إليكَ مُرِقَّـةَ العظمِ
ألقوا إليكَ بكُلِّ أرملـة شعثاءَ ، تحملُ منقعُ البُرْمِ ،
ففتَحْتَ بابك للمكارمِ ، حيـنَ تواصَتِ الابوابُ بالازمِ
وأهَنْتَ ، إذقَدِموا التلاد لهم وكذاكَ يفعلُ مُبْتَني النِّعَمِ ،
فسقى بلادك، غيرُ مفسِدِها، صوبُ الغَمام ، وديمةٌ تهمي

---

(١) راجع ديوان «طرفة بن العبد » تحقيق فوزي عطوي ، طبعة ١٩٦٩ ـــ الشركة اللبنانية للكتاب .

طرفة يفاخر بالجود

ومن مفاخر العرب ، في الجود ، قول طرفة بن العبد ، في قصيدته التي نظمها ، في يوم قضة ، من أيام حرب البسوس ، وهو اليوم المعروف بـ « تحلاق اللمم » ، لما أمر الحارث بن عباد بني بكر بحلق رؤوسهم ليعرف بعضهُم بعضاً ، وكان هذا اليوم لبكر على تغلب :

سائلوا عنّا الذي يعرفُنا	بقوانا ، يوم تحلاقِ اللمَمْ ..
يجبرُ المحروب فينا مالَه	ببناء ، وسَوامٍ ، وخَدَمْ ،
نُقُلٌ للشّحم في مشتاتِنا ،	نُحُرٌ للنِّيب، طُرّاد القَرَمْ ..
وتفرّعنا ، من ابنَيْ وائلٍ ،	هامةَ العزِّ،وخرطومَ الكرَمْ!

أجواد أهل الاسلام

ويذهب ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) الى انّ أجواد أهل الاسلام هم أحد عشر رجلا ، يقسمهم بحسب بلادهم ، ويذكر من بعض اخبارهم ، لمعاً تدل على محامدهم ، فيقول : اما اجواد اهل الاسلام، فأحد عشر رجلا في عصر واحد . ثلاثة في الحجاز : عبيد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص ، وخمسة في البصرة : عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبيد الله ابن ابي بكرة ، ومسلم بن زياد ، وعبيد الله بن معمر القرشي ، وطلحة الطلحات ، وثلاثة في الكوفة : عتاب بن ورقاء الرياحي ، واسماء بن خارجة الفزاري ، وعكرمة بن ربعي العماصيّ .

جود عبيد اللّه بن عباس

فمن جود عبيد الله ، انه اول من فطر جيرانه ، واول من وضع الموائد على الطرق، واول من حيا على طعامه،واول من الهبه .وفيه يقول شاعر المدينة:

وفي السنة الشهباء اطعمت حامضاً وحلواً ، ولحماً تامكاً وممزّعاً
وانت ربيع لليتامى ، وعصمةٌ اذا المحـل من جوّ السماء تطلعـا
ابوك ابو الفضل الذي كان رحمة وغوثـاً ونوراً للخلائق اجمعـا

ومن جوده انه اتاه سائلٌ ، وهو لا يعرفه ، فقال: (تصـدّق ، فاني نبئتُ ان عبيد الله بن عباس اعطى سائلا الف درهم ، واعتذر اليه .) فقال له : (واين انـا من عبيد الله) قال : (اين أنت منه في الحسب ، أم كثرة المال . ؟)

قال : (فيهما) . قال . (اما الحسب في الرجل ، فمروءته وفعله ، واذا شئت فعلت ، واذا فعلت كنت حسيباً . .) فأعطاه الفي درهم ، واعتذر اليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : (ان لم تكن عبيد الله بن عباس ، فأنت خير منه ، وان كنت هو، فأنت اليوم خيرٌ منك امس.) فأعطاه ألفاً أخرى فقال السائل :

(هذه هزّة كريم حسيب. والله لقد نقرت حبة قلبي، فأفرغتها في قلبك، فما اخطأت الا بأعتراض الشدّ من جوانحي .)

ومن جوده انه شاطر الحسين بن عليّ ماله ، حين حبس معاوية صلاته ، وارسل اليه : إن اعجبه ذلك ، وإلاّ حمل اليه الباقي .

جود عبد اللّه بن جعفر

ومن جود عبد الله بن جعفر ، انه اعطى امرأة سألته مالاً عظيماً ، فقيل

له : (انها لا تعرفك ، وكان يرضيها اليسير .) قال : (ان كان يرضيهـا اليسـير ، فإني لا أرضى الاّ بالكثير ، وان كانت لا تعرفني ، فإني اعرف نفسي .)

جود سعيد بن العاص

ومن جود سعيد بن العاص ، انّ معاوية كان يُديل بينه وبين مروان بن الحكم ، في ولاية المدينة ، فكان مروان يُقارضُه ، فلمّا دخل على معاوية ، قال له : (كيف تركت ابا عبد الملك ؟) ، يعني مروان . قال : (تركتـه منفّذاً لأمرك ، مصلحاً لعملك .)

قال معاوية : (انه كصاحب الخبزة ، كُفي انضاجها فأكلها .) قال : (كلاّ ، يا امـير المؤمنين ، انه من قوم لا يأكلون الاّ ما حصـدوا ، ولا يحصدون الاّ ما زرعوا .)

قال : (فما الذي باعد بينك وبينه ؟) قال : (خفتُه على شرفي ، وخافني على مثله .)

قال : (فأي شيء كان له عنـدك ؟) قال : (أسوأه حاضراً ، وأسرّه غائبـاً .)

قال : (يا ابا عثمان ، تركتنا في هذه الحروب ؟) قال : (حملت الثقل وكفيت الحزم :)

قال : (فما أبطأ بك ؟) قال : (غنـاك عنّي ابطأ بي عنـك ، وكنت قريباً ، لو دعوت لأجبناك ، ولو امرت لأطعناك .)

قال : (ذلك ظننا بك .)

فأقبل معاوية على اهل الشام ، فقال : (يا اهل الشام! هؤلاء قومي،وهذا كلامهم) ثم قال : (أخبرني عن مالك ، فقد نُبّئت انك لتحرّى فيـه) قال : (يا امير المؤمنين ، لنا مال يَخرجُ لنا منه فضلٌ ، فاذا كان ما خرج قليلا ، انفقناه ، على قلّته ، وان كان كثيراً ، فكذلك ، غـير أنّا لا ندّخر منه شيئاً عن معسر ، ولا طالب ، ولا مستحمل ، ولا نستأثر منه بفلذة لحم، ولا مزعة شحم :)

قال : (فكم يدوم لك هذا ؟) قال : (من السنة نصفها)

قال : (فما تصنع في باقيها ؟) قال : (نجد من يسلفنا ، ويسـارع الى معاملتنا .)

قال : (ما احد احوج الى ان يُصلح من شأنه منك .) قال : (إن شأننا لصالح ، يا امير المؤمنين ، ولو زدت في مالي مثله ، ما كنت الا ّ بمثل هذه الحـال .)

فأمر له معاوية بخمسين الف درهم ، وقال : (اشتر بها ضيعـةً تعينك على مروءتك) فقال سعيد : (بل اشتري بها حمداً وذكراً باقياً ، أُطعم بها الجائع ، وأزوج بها الأيّم ، وأفـك بها العاني ، وأواسي بهـا الصديق ، وأصلح بها حال الجار .)

فلَـم تأتِ عليه ثلاثة اشهر، وعنده منها درهم . فقال معاوية : (ما فضيلةٌ، بعد الإيمان بالله ، هي ارفع في الذكر ، ولا أنبـه في الشرف ، من الجود ، وحسبُك انّ الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صِفاته .)

جود عبيد اللّه بن أبي بكرة

ومن جود عبيد الله بن ابي بكرة ، أنه وصـل رجلاً بمائة الف درهم لحرمة له عنده ، فقال له : (ما وصلني بها احدٌ قط ، ولولا انت ، لم تبقَ للدنيا بهجة .)

جودُ عبيد اللّه بن معمر

ومن جود عبيد الله بن معمر ، انه اشترى جارية بعشرة آلاف درهم ، فلما قبض صاحبها المال ، ودّعها وقال :

أبوح بحزنٍ، من فراقكِ ، موجعٍ أُقاسي به ليلاً يُطيلُ تفكُّري
ولولا قعود الدهر بي عنك، لم يكُن يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ ،فاعذُري
عليـك سلامٌ ، لا زيارة بيننـا ، ولا وصل،الاّ ان يشاء ابن معمرِ !!

فقال عبيد الله بن معمر : (قد شئت . فخُذ جاريتك ، وبارك الله لك في المال .)

ويذكُر ابن عبد ربّه طبقة ثانية من أجواد الاسـلام منهم : الحكم بن

حنطب ، ومعن بن زائدة ، ويزيد بن المهلب ، ويزيد بن حاتم ، وعدي بن حاتم ، وخالد بن عبــد الله القسريّ ، والقاسم بن اسماعيــل المكني (أبو دلف) .

جود الحكم بن الحنطب

قال العتبي : (أخبرني رجل من اهل منبج ، قال : (قدم علينا الحكم بن حنطب ، وهو مملق ، فأغنانا) . قال له : (كيف أغناكم ، وهو مملق ؟) قال : (علـّمنا المكارم ، فعاد غنيـّنا على فقيرنا .)

جود معن بن زائدة

وقال العتبي : (لما قدم معن بن زائدة البصرة ، واجتمع اليه الناس ، أتاه مروان بن ابي حفصة ، فأخذ بعضادتي الباب ، فأنشده شعره الذي قال فيه :

فما أحجم الأعداء عنك بقية   عليك، ولكن لم يروا فيك مطمعا

له راحتان، الحتف والجود فيهما،   أبى الله إلاّ ان يـُضِرّ وينفعا)

جود يزيد بن المهلب

وقال الأصمعي : (قــدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعــة ، فقال رجل منهم :

والله ما ندري اذا ما فاتنا   طلبٌ اليك ، مَن الذي نتطلّب

ولقد ضربنا في البلاد، فلم نجد احداً سواك الى المكارم يُنسَبُ
فاصبر لعادتنا التي عوّدتنا أوْ لا، فأرشِدْنا الى مَن نذهَبُ؟!

فأمر له بألف دينار، فلما كان العام المقبل، وفد عليه وقال:

ما لي ارى ابوابهم مهجورةً وكأنّ بابك مجمعُ الاسواقِ
حابوك ام هابوك ام شاموا النّدى بيديك، فاجتمعوا من الآفاقِ
إني رأيتُك للمكارم عاشقاً، والمكرُمات قليلةُ العُشّاقِ!

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وهو الذي اجاب مَن قال له: (لِمَ لَم تبنِ لك داراً؟)، فقال: (انما منزلي دار الإمارة او السجن.)

جود يزيد بن حاتم

ومنهم يزيد بن حاتم. كتب اليه رجل من العلماء يستوصله، فبعث اليه ثلاثين الف درهم، وكتب اليه: (اما بعد، فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً، لا أُكثرها إمناعاً، ولا أقلّلُها تجبّراً، ولا استثيبك عليها ثناء، ولا اقطع بها رجاء، والسلام.)

وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه، فلما بلغ مصر، وجده قد مات، فقال:

لئن مصر فاتتني بما كنتُ أرتجي وأخلفني منها الذي كنت آملُ

فما كان كل ما يخشى الفتى بمصيبه،   ولا كل ما يرجو الفتى هو نائِلُ

وما كان بيني لو لقيتُك سالماً   وبين الغنى الا ّ ليال قلائِلُ !

وقد سبق ذكر ما كان بين يزيد وبين ربيعة الرقيّ الذي مدحه ، لما كان والياً على مصر ، ثم عزل عن ولايته .

جود عديّ بن حاتم

ويروى عن عديّ بن حاتم انه اعطى شاعراً ألف شاة ، وألف درهم ، وثلاثة أعبد ، وثلاث إماء ، على مدحه ، وكان ذلك كل ما يملك احد .

جود خالد بن عبد اللّه القسري

ومنهم خالد بن عبد الله القسري ، قدم اليه أعرابي ، فقال :

أصلحك اللهُ ، قلّ ما بيدي   فما أطيق العيال اذ كثروا

أناخ دهرٌ ألقى بكلكله ،   فأرسلوني اليك ، وانتظروا

فقال : (ارسلوك وانتظروا ! والله لا تنزل حتى تنصرف بما يسرُّهم)، وأمر له بجائزة عظيمة ، وكسوة ، ومتاع .

جود القاسم بن اسماعيل

ومنهم ، اخيراً ، ابو دلف ، واسمه القاسم بن اسماعيل ، وفيه يقول علي بن جبلة :

انّما الدنيا ابو دلف بين مبداه ومحتضره ،
فإذا ولّى ابو دلف ولّت الدّنيا على أثره .

جود الخلفاء وازدهار الأدب

والناظر في تاريخ الأدب العربي ، يدرك أيّ ازدهار شهده الفكر عامة ، في العصور الاسلامية ، بسبب قيام الخلفاء ببذل الاموال ، وتشجيع المفكرين والكتاب والشعراء على الانصراف الى العمل الأدبي الصرف ، بعدما يكفونه مشقّة البحث عن اسباب العيش .

وعلى الرغم مما اشتهر به الخلفاء المسلمون ، على اختلاف عهودهم ، بالجود العميم ، في مجال الاسهام بالحركة الفكرية العربية الزاهرة ، فإن بعضهم لم يسلم شخصياً ، من شحّ ، في الطبع ، شديد ، وفي عدادهم ابو جعفر المنصور الذي عرف ببخله الشديد .

بُخل أبي جعفر المنصور

وقد مرّ به مسلم الحادي في طريقه الى الحج ، فحدا له ، يوماً ، بقول الشاعر :

أغرُّ بين الحاجبين نورُه ... يزينه حياؤه وخيرُه

ومسكُه يشوبُه كافورُه ... اذا تغدّى رُفِعت ستورُه

فطرب المنصور ، وضرب برجله المحمل ، وأمر الربيع بأن يمنحه نصف درهم . فدهش مسلم ، وقال : (أنصف درهم ، يا امير المؤمنين ؟ والله ، لقد حدوتُ لهشام ، فأمر لي بثلاثين الف درهم .) فقال المنصور : (تأخذ من بيت المسلمين ثلاثين ألفاً ؟ يا ربيع ،وكّل به مَن يستعيد منه هذا المبلغ .) وما زال الربيع يسير بينهما ، ويروضه ، حتى اخذ مسلم عهداً على نفسه بأن يحدو للخليفة في ذهابه وايابه دون مقابل .

جود عبد الملك بن مروان

ومما يروى عن أعشى ربيعة انه دخل ، ذات مرة ، على عبد الملك بن مروان ، وعن يمينه الوليد ، وعن يساره سليمان ، فقال له عبد الملك : (ما الذي بقي يا أبا المغيرة ؟) فأنشأ اعشى ربيعة يقول :

وما انا في حقّي ولا في خصومتي ... بمهتضمٍ حقّي ، ولا قارعٍ سنّي

ولا مسلمٍ مولاي عن سوء ما جني ... ولا خائف مولاي من سوء ما اجني

وفضليَ في الأقوام والشعر انني ... اقول الذي اعني ، واعرف ما اعني

وان فؤادي بين جنبيَّ عالِمٌ ... بما ابصرت عيني ، وما سمعت اذني

واني ، وان فضّلتُ مروان وابنه ... على الناس،قدفضّلتُ خير أبٍ وابنِ

فضحك عبـد الملك بن مروان ، وقال للوليـد وسليمان : (اتلومانني على هذا ؟) وامر له بعشرة آلاف درهم .

ولكن فضيلة الكرم ، وان ذاعت عن خليفة او امير ، فهي لا تعفيه من هجاء حاقد ، او من تعريض حاسد . كذلك كان شأن عبد الملك بن مروان الذي كثرت فيه المدائح ، كما كثرت في غيره من الخلفاء ، ولكنّه لم يسلم من الهجاء الموجع ، حتى لقد قال مرة : (ما هجاني احدٌ بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير ، وهو :

فإن تصبك من الأيام جائحةٌ لم نبك منك على دنيا ولا دين !

ولكن الهجاء ، وان اوجع ، فهو لا يبدّل طبع الكريم الاصيل الذي يقابل الاساءة بالغفران . ويواجه اللؤم بالكرم . وفي مثل هذا المغنى قال مقنّب بن ام صاحب :

مهلا ، اعادل قد جرّبت من خلقي انّي اجودُ لأقوام وان ضننوا

جود معاوية بن أبي سفيان

وقد ذكرنا قبل الآن، ما كان من شأن معاوية مع سعيد بن العاص، وكيف ان سعيداً رفض ان يشتري ضيعة له بالآلاف الخمسين من الدراهم التي امر له بها معاوية ، بل راح يطعم بها الجائع ، ويزوّج بها الايّم . ويفكّ بها

العاني . ويواسي بها الصديق ، ويصلح بها حال الجار ، فلم تأت عليه ثلاثة اشهر ، وعنده منها درهم واحد .

فإن كان ذلك يدلّ على شيء . فعلى محبّة الخير الكامنة في نفس الواهب والموهوب على السواء ، حتى لكأنّي بسعيد بن العاص يتمثّل بقول الشاعر :

يجود علينا الخيّرون بمالهم ونحن بمال الخيّرين نجودُ .

وبذلك انطبق عليه وصف الشاعر الآخر :

فما جازه جودٌ، ولا حلّ دونه ولكن يسيرُ الجود حيث يسير

وما اشبه فعل سعيد ههُنا بقول ذلك الرجل الذي لما سئل : (ما الغنى؟) اجاب : (ان تجود بالموجود .)

ولقد كان الجود ، في العرب ، طبعاً فاضلا ، كما كان استجابة لتعاليم الدين ، والطبع والاستجابة تجسّدا بأجمل صورة في فعل سعيد بن العاص ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى في محكم تنزيله الحكيم :

(ويسألونـك ماذا يُنفقون ؟ قل : ما انفقتُم من خير فللوالدين . والاقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .)

وقديماً قال الشاعر الحكيم زهير بن ابي سلمى في معلقته [1] :

١ـ لمزيد من التفصيل راجع كتابنا :(المعلقات العشر ـ دراسة ونصوص)ـ الشركة اللبنانية للكتاب طبعة ١٩٦٩ .

ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضله على قومه ، يُستَغنَ عنه ويُذمَمِ
ومن يجعل المعروف في غير أهله يكُن حمدُه ذماً عليه ، ويندَمِ

المنصور والبخل في زيّ الجود

ومما رواه الربيع ، حاجب المنصور ، انه قال :

قلتُ يوماً للمنصور : (ان الشعراء ببابك ، وهم كثيرون ، طالت ايامهم ونفذت نفقاتهم .) فقال : (اخرج اليهم ، فاقرأ عليهم السلام ، وقل لهم : (من مدحني منكم ، فلا يصفني بالاسد ، فانمّا هو كلب من الكلاب ، ولا بالحية ، فانمًّا هي دويبة نتنة تأكل التراب ، ولا بالجبل ، فانما هو حجر أصمّ ولا البحر ، فانما هو عطائط لجب ، ومن ليس في شعره هذا فليدخل ، ومن كان في شعره فلينصرف .)

فانصرفوا كلهم ، الا ابراهيم بن هرمة ، فانه قال : (انا له يا ربيع ، فأدخلني) .

فأدخلته . فلما مثل بين يديه ، قال لي المنصور : (يا ربيع ، قد علمت انه لا يجيبك أحد غيره .)

ثم قال لابراهيم : (هات يا ابن هرمة) . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظات عن حفافي سريره إذا كرّها ، فيها عذابٌ ونائلُ
له طينة بيضاءُ من آل هاشم اذا اسودّ من كوم التراب القبائلُ
إذا ما أتى شيئاً ، مضى كالذي أتى ، وإن قال : (إني فاعل) ، فهو فاعلُ .

فقال : (حسبُك ! ههُنا بلغت . هذا عين الشعر ، وقد أمرتُ لك بخمسة آلاف درهم) فقمتُ اليه ،وقبّلت رأسه ، واطرافه ، ثم خرجت ، فلما كدت اخفى على عينيه ، سمعته يقول : (يا ابراهيم !) فأقبلت اليه فزعاً ، فقلت : (لبيك ، فداك ابي امي) . قال : (احتفظ بها ، فليس لك عندنا غيرها .) فقلت : (بأبي وامّي انت ، احفظها حتى أوافيك بها على الصراط ، بخاتم الجهبذ .)

جود هارون الرشيد

وروى سعيد بن سلم الباهلي عن هارون الرشيد هذه الحادثة : قدم على الرشيد اعرابي من باهلة ، وعليه جبّة حبرة ، ورداء يمان ، قد شدّه على وسطه ، ثم ثناه على عاتقه، وعمامته قد عصبها على فوديه ، وأرخى لها عذبة من خلفه ، فمثل بين يدي الرشيد ، فقال سعيد : (يا اعرابي ، خُذ في شرف امير المؤمنين) ، فاندفع في شعره ، فقال الرشيد : (يا اعرابي،اسمعك مستحسناً ، وانكرك متهماً ، فقل لنا بيتين، في هذين)،(يعني محمداً الأمين ، وعبد الله المأمون ، ابنيه ، وهما حفافاه) ، فقال : (يا امير المؤمنين ، حملتني على الوعر القردد ، وأرجعتني على السهل الحدرد ، روعة الخلافة ، وبهر الدرجة ، ونفور القوافي على البديهة ، فأروِدني ، تتألف لي نوافرها،ويسكن روعي .)

قال : (قد فعلت ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك) .

قال : (يا امير المؤمنين ، نفست الخناق ، وسهلت ميـدان السباق .)
وانشأ يقول :

بنيت لعبد الله ثم محمد ذرى قبة الاسلام، فاخضرّ عودها
هما طنباها بارك الله فيهما ، وانت ، امير المؤمنـين ، عمودُها

فقال الرشيد : (وانت ، يا اعرابي ، بارك الله فيك ، فسل ، ولا تكن مسألتك دون احسانك .)

قال : (الهنيدة ، يا امير المؤمنين) .

فأمر له بمائة ناقة ، وسبع خلع .

من غريب الجود والضيافة

ومن غريب ما يمكن ان نرويه عن جود الشعراء وضيافتهم ، ما يذكره الفرزدق ، الشاعر الأموي ، عن استضافته لذئب واشراكه في زاده ، وذلك في قصيدته التي يقول فيها :

وأطلس عسالٍ ، وما كان صاحباً دعوتُ بناري ، موهنـاً ، فأتاني
فلمّا دنا، قلتُ : (ادنُ دونك، انني وإيّـاك في زادي لمشتركانِ)
فبتُّ اسوّي الزّاد بيني وبينَـهُ على ضوءِ نارٍ مرةً ، ودُخانِ
فقلتُ له ، لما تكشّر ، ضاحكاً ، وقائم سيفي ، من يدي ، بمكانِ :

لعَمْشٍ ، فإنْ واثقتَني لا تخونُني نكُنْ مثلَ مَن ،ياذئبُ ،يصطحبان

وانت امرؤ ، يا ذئبُ ،والغدر كنتُما أخيّين كانا أُرضِعا بلبان ،

ولو غيرَنا نبّهتَ تلتمس القرى ، أتاكَ بسهمٍ او شباةِ سنانِ

وكُلُّ رفيقَي كُلِّ رحلٍ ،وإنْ هُما تعاطَى القَنا قوماهُما أخوانِ !!

• • •

ذم البُخل

ومع اننا اكثرنا من ذكر الروايات والاشعار والأحاديث التي تمدح الجود، وتذمّ البخل، فمن المفيد ان نذكر المبالغات التي عمد اليها الشعراء ، في وصف البُخل والبخلاء ، فهذا جرير يقول :

قوم اذا اكلوا ، أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدارِ

وهذا شاعر آخر يقول في ذات المعنى :

تراهم خشية الأضياف خرساً يصلّون الصلاة بـلا أذانِ

ويصف ابن الرومي بخيلاً يدعى عيسى، ولعلّه (موسى) ، لأنّ البخل أوفق لطباع اليهود ، فيقول :

يقتّر عيسى على نفسه ❊ وليس بباقٍ ، ولا خالدِ
ولو يستطيع لتقتيره ❊ تنفّس من منخر واحدِ .

بُخل اليهود

وبمناسبة ترجيحنا لاسم (موسى) على (عيسى) ، تبيـاناً (لمكارم) اليهود، في مجال البُخل والشحّ والتقتير، إلاّ فيما كان هدفُه تقتيل الشعوب، واغتصاب الحقوق ، نذكر أن اليهود انفسهم يعرفون ، وكثيراً ما يعترفون ، على سبيل المباهاة الدنيئة ، بهذا الطبع اللئيم ، زاعمين انّ ذلك دليل فهمهم للاقتصاد الصحيح ، هكذا كانوا منذ القِدم ، وهكذا استمروا ، وهكـذا سيبقون الى ما شاء رب العالمين .

وليت اليهود وقفوا عند حدّ البُخل وحسب ، فقد حفـل تاريخهم بالمخازي والدنايا جميعاً ، من تعذيب الأنبياء والرسـل ، وتقتيلهم ، والتآمر عليهم . لقد سيّر اليهود السيد المسيح على درب الجلجلة ، عاصبين رأسه الطاهر بالاشواك ، وباع يهوذا سيّده بالفلس الحقير ، ولقد تآمروا ، في خيبر، على رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام . إنهم هم انفسهم ، ابناء يعقوب الذين باعوا اخاهم يوسف للتجار والمرابين . وهم الذين ضربت عليهم الذلّة والمهانة ، وكتب الله عليهم ان يتشرّدوا في الأرض ، لأنهم لا يؤمنون بوطن، ولا يوالون أمّة ،وهم الذين غصبوا ثرى فلسطين الطاهرة،فدنسوا القداسات. واستباحوا الحرمات . وها هم على تشرّدهم في الدنيا . ينتقمون لما اشتهروا

به من البخل ، وانقباض اليد عن المكارم . فيتبرعون بسخاء للأعمال الوحشية والبربرية، يقترفها جلادون منهم ، في دولة غاشمة اقاموها في غفلة من الزمان ، دون ما زادع من دين ، او خلق ، او ضمير .

ألا بئس الجود ، إن بُذل في سبيل تقتيل الأبرياء ، ودوس المكارم ، واغتصاب الحقوق ، وصلب العدالة ، وألف سلام ، ويوم صيام على البُخل الذي يسري في دمائهم ، فيَصل أزل تاريخهم بأبده !!

الجود الحديث

ونكتفي بهذا القدر من الحديث المقارن عن الجود والبُخل لدى العرب ، وبعض الشعوب الأخرى ، فهو من الإيفاء بحيث يوضح الفكرة ، ويُبرزها ، ويَسوق العبرة منها الى كل معتبر .

ولقد بتنا ، في العصور المتأخرة ، بعدما تناهت الينا مساويء الحضارة الغربية كلها ، وبعض ما فيها من المحاسن ، وبعدما انقلبت طرائق المعيشة ، وتبدّلت مقاييس الزمان ، وكأنّ الجودَ حديث خرافة ، نسمعُه كما نسمع اي حديث آخر مفعم بألوان الخيالات ، ومنمّق بضروب الاساطير والاوهام ، او كما نشاهد أيّة رواية خيالية ، او تمثيلية تلفيزيونية او سينمائية شيقة الاحداث ، ولكنها براء من الواقع ، او قل ان الواقع منها براء .

خاتمـــة

ومهما يكن من أمر ، فإن فضيلة الجود ، وما يدور في فلكها من فضائل انسانية سامية ، تلبث في تاريخ العرب ، حرفاً من ضياء ، يلتمعُ عـــبر الظلمات المحيطة بتواريخ الشعوب غير العربيـــة ، وهي مزيّة تعكس براءة الطبع العربي ، وطهارة النفس العربية ، وصفاء المحبّة التي تولّد التعاطف بين ابناء البشرية جمعاء ، ذلك التعاطف الذي كان وسيبقى رائد العرب، ماضياً وحاضراً ، يحملهم على رفض المظالم ، وتحدّي المآثم ، لبنـــاء مجتمع إنسانيّ هانيء ، هاديء ، رافلٍ بمعاني السموّ الخُلقي ، والنُبل الروحاني ، تائقٍ الى الذود عن الحق والخير والجمال ، حتى ولو اقتضاه ذلك الذود جوداً بالانفس والدماء . فهو ، ساعتذاك ، يبلغ ارفع ذرى المكارم . لأنّ الجود بالنفس اقصى غاية الجودِ !!

بيروت في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٦٩

فوزي خليل عطوي

فهرس الدراسة

الصفحة	العنوان
٢١	أجواد العرب في الجاهلية
٢٢	لبيد بن ربيعة العامري
٢٤	هرم بن سنان المرّي
٢٥	كعب بن مامة الايادي
٢٦	حاتم بن عبد الله الطائي
٢٧	جود أم حاتم
٢٨	جود جدّ حاتم
٢٩	جود بنت حاتم
٣٠	قيصر الروم وفرس حاتم
٣٠	حاتم والاطفال الجياع
٣١	حاتم الاسطوري
٣٢	بخلاء العرب
٣٤	بخيل يروي عن بخيل (أوبخل هشام)
٣٤	بخل مروان بن ابي حفصة
٣٥	بخل زبيدة بن حميد الصيرفي
٣٥	بخل محمد بن الجهم
٣٦	بخل أبي الطيب المتنبي
٣٧	جود قتادة بن مسلمة الحنفي
٣٨	طرفة يفاخر بالجود

الصفحة	العنوان

دِيوَان
حَاتم الطّائي

حرف الباء

أبلغ الحارث

أبلِغِ الحارِثَ بنَ عَمْرٍو بأنّي ... حافِظُ الوُدّ، مُرْصِدٌ للصّوابِ [1]

ومُجيبٌ دُعاءَهُ، إنْ دَعاني، ... عَجِلاً، واحِداً، وذا أصْحابِ

إنّما بَيْنَنا وبَيْنَكَ، فاعلَمْ، ... سَيرُ تِسْعٍ، للعاجِلِ المُنْتابِ

فثَلاثٌ مِنَ السَّراةِ إلى الحُلُبُطِ ... للخَيْلِ، جاهِداً، والرّكابِ [2]

وثَلاثٌ يُرِدْنَ تَيْماءَ رَهْواً، ... وثَلاثٌ يُغْرِرْنَ بالإعْجابِ

فإذا ما مَرَرْتَ في مُسْبَطِرٍّ، ... فاجمَحِ الخيلَ مثلَ جَمحِ الكِعابِ [3]

---

١ قال حاتم طي يخاطب الحارث بن عمرو والد النعمان ، حينما اطلق هذا من كان اسرهم من رهط حاتم ، هذه الابيات .

٢ السراة : اسم مكان ؛ وكذلك الحلبط

٣ مسبطر : ارض مستوية .

بَينماذاكَ أصبحتْ ،وهي عضدي   مِنْ سُبيٍّ مَجْمُوعَةٍ ، ونِهابِ

ليتَ شِعْري ، متى أرى قُبّةً   ذاتَ قِلاعٍ للحارِثِ الحرّابِ [1]

بيفاعٍ ، وذاكَ مِنها مَحَلٌ ،   فوقَ مَلْكٍ ، يَدينَ بالأحسابِ

أيّهـا المُوعِـدي ، فإنّ لَبُوني   بينَ حَقْلٍ ، وبَينَ هَضْبِ ذُبابِ [2]

حَيثُ لاأرْهَبُ الخُزاةَ ،وحَوْلي   ثُعَليُونَ ، كالليُوثِ الغِضابِ [3]

كرام الضرائب

ومَرْقَبَةٍ دونَ السّماءِ عَلَوْتُها   أُقَلّبُ طَرْفي في فضاءِ سَباسِبِ [4]

وما أنا بالماشي إلى بيْتِ جارَتي ،   طَرُوقاً ، أُحَيّيها كَآخَرَ جانب [5]

ولوْ شهِدَتْنا بالمُزاحِ لأيْقَنَتْ ،   على ضُرّنا ، أنّا كِرامُ الضّرائب

عشيّةَ قالَ ابنُ الذّئيمة ، «عارقٌ» :   إخالُ رئيسَ القوْمِ ليسَ بآئِب [6]

---

١ ــ الحراب : سلاب المال ، أو حمال الحربة

٢ ــ اللبون : النياق والمواشي الكثيرة اللبن.

٣ ــ الخزاة : الخزي ــ ثعليون : نسبة الى بني ثعل ــ الليوث : الاسود .

٤ ــ مرقبة : موضع مراقبة ــ سباسب : مفازات .

٥ ــ جانب : غريب .

٦ ــ الذئيمة : الذميمة .

وما أنا بالسّاعي بفَضْلِ زِمامِها، لتَشربَ ما في الحَوضِ قبلَ الرّكائبِ

فما أنا بالطّاوي حَقيبةَ رَحْلِها، لأركَبَها خِفّاً، وأترُكَ صاحبي

إذا كُنتَ رَبّاً للقَلُوصِ، فلا تدَعْ رَفيقَكَ يمشِي خلفَها، غيرَ راكبِ[1]

أنِخْها، فأرْدِفْهُ، فإنْ حملَتْكُما، فذاكَ، وإنْ كانَ العِقابُ فعاقِبِ[2]

ولستُ، إذا ما أحدَثَ الدّهرُ نكبَةً بأخضَعَ وَلاّجٍ بُيُوتَ الأقارِبِ

إذا أوطَنَ القومُ البيوتَ وجدْتَهُمْ عُماةً عنِ الأخبارِ، خُرْقَ المكاسِبِ[3]

وشَرُّ الصّعاليكِ، الذي هَمُّ نفسِهِ حَديثُ الغَواني، واتّباعُ المآرِبِ

أربحت في البيعة الكسبا

فلوْ كان ما يُعطي رِياءً لأمْسَكَتْ

بِهِ جَنَبَاتُ اللّوْمِ، يجذِبْنَهُ جَذبَا

ولكِنّمــا يبْغي به اللهَ وحــدَهُ،

فأعطِ، فقد أربَحْتَ في البيعةِ، الكَسْبا!

---

١ ـ القلوص : الناقة الفتية .

٢ ـ اناخ : اركع ـ اردفه : اركبه وراءه.

٣ ـ خرق : جهلاء .

حرف التاء

معاذ الله

كريمٌ ، لا أبيتُ الليلَ ، جادٍ ، أعدّدُ بالأنامِل ما رُزِيتُ[1]

اذا ما بِتُّ أشربُ ، فوقَ ريٍّ ، لسُكرٍ في الشرابِ ، فلا رَوِيتُ

اذا ما بِتُّ أختِلُ عِرْسَ جاري ، ليُخفيَني الظلامُ ، فلا خَفِيتُ[2]

أأفضَحُ جارَتي وأخونُ جاري ؟ مَعاذَ اللهِ أفعَلُ ما حَيِيتُ !!

---

١ ــ رزيت : رزئت

٢ ــ اختل : أخدع ــ عرس جاري : زوجته .

لمّا رأيتُ النّاس

لمّا رأيتُ الناسَ هرّتْ كِلابُهُمْ، ضربتُ بسيفي ساقَ «أفعَى» فخرّتِ [1]

فقلتُ لأصحابٍ صغارٍ ونسوةٍ، بشهباءَ، مِنْ ليلِ الثلاثينَ قرّتِ

عليكُمْ مِنَ الشطّيْنِ كلّ وَرِيّةٍ، اذا النارُ مسّتْ جانبَيها ارْمَعَلّتِ [2]

ولا يُنْزِلُ المرْءُ الكريمُ عيالَهُ واضيافَهُ، ما ساقَ مالاً، بضَرّتِ [3]

---

١ ـ قال ابن الكلبي : قال ابو سحيم الكلبي : ضاف حاتماً ضيف في سنة لم يقدر على شيء ، وله ناقة يسافر عليها يقال لها : افعى فعقرها ، واطعم اضيافه ، فقسمها ، وبعث الى عياله بقسمها الآخر . وقال حاتم في ذلك هذه الأبيات .

٢ـ وريه : سمينة ارمعلت : سال الدسم منها .

٣ـ ضرت: اصلها (ضرة) بالتاء المربوطة . وقد كتبت كذلك لاتساق الروي . ومعنا الشدة والضيق .

حرف الحاء

محلٌ الضيف

نِعِمَّا محلُّ الضَّيْفِ ، لو تَعلَمينَهُ
بلَيْلٍ ، اذا ما استَشرَفَتْهُ النَّوابِح
تَقَصَّى الى الحيِّ ، امّــا دَلالَةً
عَــليَّ ، وامّا قادَهُ لي ناصِح !

يا مالك

يا مالِ ! احدى صرُوفِ الدهرِ قد طرَقَت
يا مــالِ ! ما أنتُــمُ عنهــا بِنُزّاحِ [1]
يا مالِ ! جاءت حِيــاضَ الموتِ ، وارِدةً
من بينِ غَمْرٍ ، فخُضْناه ، وضَحضاحِ [2]

---

١ ــ يا مال : ترخيم: (يا مالك) .

٢ ــ الماء الغمر : الكثير ــ والضحضاح : اليسير .

حرف الدال

لا نحن ُ نبقى ، ولا الدهر ينفد

هل للدهر ُ الا ّ اليوم ُ ، او ْ أمس ِ ، او ْ غد ُ   كذاك َ الزّمان ُ ، َ بيننا ، َ يتر َد ّ د ُ

َ ير ُد ّ علينا َ ليلة ّ َ بعد َ يو ْ مها ،   فلا نحن ُ ما نبقى ، ولا الد ّهر ُ َ ينفد ُ [1]

لنا أجل ٌ ، إمّا َ تناهَى أمامه ُ ،   فنحن ُ َ على آثـاره ِ نتو َر ّ د ُ [2]

َ بنو ثعَل ٍ َ قو ْ مي ، فما أنا مُد ّ ع ٍ   سواهم ْ ، الى قو ْ م ٍ ، وما أنا مُسند ُ

بد َرئهم ِ أغشى د ُ روء َ َ معاشر ٍ ،   و َ يحنف ُ عني الأبلج ُ المتعمّد ُ [3]

فمهلاً ّ ا فداك َ اليو ْ م َ ُ أمّي وخالتي ،   فلا يأمرنّي ، بالد ّنية ِ ، اسو َد ُ

على جُبُن ٍ ، اذ كنت ُ ، واشتد ّ جانبي   ُ أسام ُ التي أعيَيت ُ ، اذ أنا امر َد ُ

فهل ْ تركت ْ َ قبلي حُضور َ مكانها ،   وهل مَن ْ أبى ضيماً وخسفاً مُخلد ُ ؟

---

١ ـ ينفد : ينتهي .

٢ ـ امامه : طريقه الجلي ـ نتورد : نسير .

٣ ـ الدره : الاندفاع ـ درؤ : اماكن ـ يحنف : يميل .

ومُعتَسِفٍ بالرّمحِ، دونَ صحابِهِ، تغسّفتُهُ بالسّيفِ، والقومُ شُهَّدُ
فخرّ على حُرّ الجبينِ، وذادَهُ، الى الموتِ، مطرورُ الوقيعةِ، مِذوَدُ
فمارَ مَتنُهُ، حتى ازّحتُ عويصَهُ، وحتى علاهُ حالكُ اللّونِ، اسوَدُ [1]
فأقسمتُ، لا امشي الى سرّ جارةٍ، مدى الدّهر، ما دامَ الحمامُ يُغرّدُ
ولا اشتري مالاً بغدرٍ علمتُه، ألا كلُّ مالٍ، خالطَ الغدرُ، انكَدُ [2]
اذا كانَ بعضُ المالِ ربّاً لأهلِهِ، فإنّي، بحمدِ اللهِ، ما لي مُعبَّدُ
يُفكّ بهِ العاني، ويُؤكَلُ طيّباً، ويُعطَى، اذا منّ البخيلُ المُطرَّدُ [3]
اذا ما البخيلُ الخبُّ اخمدَ نارَهُ، اقولُ لمَن يَصلى بناريَ: اوقِدوا [4]
توسّعْ قليلا، او يكُنْ ثمّ حسبُنا ومُوقِدُها الباري اعفّ واحمَدُ
كذاكَ امورُ النّاسِ راضٍ دنيّةً، وسامٍ الى فرعِ العلا، مُتورّدُ
فمنهم جوادٌ قد تلفّتَ حولَه، ومنهُم لئيمٌ دائمُ الطّرفِ، اقوَدُ
وداعٍ دعاني دعوةً، فأجبتُهُ، وهل يدعُ الدّاعينَ الاّ المُبلَّدُ ؟

---

١ ــ المعتسف: الظالم ، او المتسلح .

٢ ــ عويصه : صعبه .

٣ ــ المطرد : المبعد .

٤ ــ الخب : الخبيث المخادع.

قلتُ له : ابعدِ

وخِرقٍ كنصلِ السيفِ، قد رام مصدفي — تعسفتُه بالرمحِ، والقومُ شُهّدي [1]

فخرّ على حرِّ الجبينِ بضربةٍ، — تقطُّ صِفاقاً عن جشاغبِ مُسنَدِ [2]

فما رُمتُهُ، حتى تركتُ عويصةً — بقيّةَ عرفٍ، يحفزُ التُّربَ، مِذوَد

وحتى تركتُ العائداتِ يعُدْنَهُ، — يُنادينَ لا تبعَدْ، وقلتُ له: ابعدِ

أطافوا به طوفين، ثمّ مشوا به — إلى ذاتِ إلنجافِ، بزَخّاءَ، قردَدِ [3]

ومرقبةٍ، دونَ السماءِ، طِمِرّةٍ، — سبقتُ طلوعَ الشمسِ منها بمرصَدِ

وِسادي بها جفنُ السلاحِ، وتارةً، — على عُدَواءِ الجنبِ، غيرُ موسّدِ

١– يلاحظ الشبه الكبير بين هذا البيت والبيت التاسع في القصيدة السابقة .

٢– تقط : تقطع – الصفاق : الجلد الاسفل الذي يمسك البطن .

٣– زخاء : اسم مكان . قردد : ارض غليظة مرتفعة .

غيمكم ضبابٌ

ألا أخلَفَتْ سَوْداءَ منكَ المواعِدُ، ودونَ الذي أمَّلْتَ منها الفراقِدُ

تُمَنّينَنا غَدْواً، وغَيْمُكُمُ، غداً، ضَبابٌ، فلا صَحوٌ، ولاالغيمُ جائِدُ

اذا أنتَ أُعطيتَ الغِنى، ثمّ لم تَجُدْ بفضْلِ الغِنى، أُلفيتَ ما لكَ حامدُ

وماذا يُعَدّي المالُ عنكَ وجَمعُهُ، اذا كانَ ميراثاً ، ووارَاكَ لاحد

ربّي

إلهُهُمُ رَبّي ، ورَبّي إلهُهُمْ ،

فأقسمْتُ لا أرْسُو ولا أتَمعّدُ [1]

---

١ ـ روى القاضي التنوخي عن ابي صالح قال : انشدني ابن الكلبي لحاتم هذا البيت .

لا عار فيما صنعت

أبَى طُولُ ليلِكَ الاّ سُهُوداً ، فما انْ تَبينُ ، لِصُبْحٍ ، عَمودا [1]
ابيتُ كئيباً أُراعي النّجومَ ، واُوجِعُ ،مِنْ ساعدَيّ ،الحديدا
أُرَجّي فَواضِلَ ذي بَهْجةٍ ، مِنَ النّاسِ ،يجمَعُ حزْماً وجُودا [2]
نَمتْهُ إمامةُ والحارِثانِ ، حتى تَمهّلَ سَبْقاً جديدا
كسَبْقِ الجوادِ غداةَ الرّهانِ ، أرْبى على السّنّ شأواً مديدا [3]
فاجْمَعْ ، فِداءٌ لكَ الوالدانِ ، لِما كنتَ فينا ، بخَيرٍ ، مُريدا
فتَجْمعُ نُعْمى على حاتِمٍ ، وتُحضِرُها ، من مَعَدٍّ ، شُهودا
ام الهُلْكُ ادنى،فما انْ علِمتُ عليّ جُناحاً ، فأخشى الوعيدا
فأحِسنْ فلا عارَ فيما صَنَعْتَ، تُحيي جُدوداً ، وتَبري جُدودا [4]

١ـ انشد حاتم هذه القصيدة بين يدي الحارث بن عمرو الجفني .

٢ـ فواضل : نوافل . عطايا .

٣ـ اربى : زاد .

٤ـ تبري : تضعف .

مالي لعرضي جُنّه

وعاذِلةٍ هبَّتْ بليْلٍ تلومُني ، وقد غاب عيّوقُ الثريّا ، فعرّدا[1]

تلومُ على اعطائيَ المالَ ، ضِلّةً ، اذا ضنّ بالمالِ البخيلُ وصرّدا

تقول : الا امْسِكْ عليكَ ، فإنني ارى المالَ ، عند المُمسكينَ ، مُعبَّدا[2]

ذَريني وحالي ، انّ مالكِ وافرٌ ، وكلّ امرىءٍ جارٍ على ما تعوّدا

اعاذِلَ ! لا آلوكِ الا خليقتي ، فلا تجعلي ، فوقي ، لِسانكِ مِبْرَدا

ذَريني يكُنْ مالي لعِرْضي جُنّةً ، يَقي المالُ عِرْضي ، قبل ان يتبدّدا[3]

أريني جواداً ماتَ هزْلاً ، لعلّني أرى ما تَرَيْنَ ، اوْ بخيلاً مُخلَّدا

والا فكُفّي بعضَ لومكِ ، واجعلي الى رأيِ مَن تلحَيْنَ ، رأيكِ مُسْنَدا[4]

ألمْ تعلمي انّي ، اذا الضّيفُ نابني ، وعزّ القِرى ، أقري السديفَ المُسرْهدا[5]

١ـ عيوق الثريا : هو النجم الذي يتلو الثريا ولا يتقدمها . عرد : مال للمغيب .

٢ـ المال المعبد : اي المعبود .

٣ـ جنة : شدة .

٤ـ تلحين : تلومين .

٥ـ مسرهد : متقطع .

أسَوِّدُ ساداتِ العشيرةِ ، عارفاً ، ومن دونِ قومي ، في الشدائد ، مِذوَدا

وأُلفَى ، لأعراضِ العشيرةِ ، حافظاً وحقّهِمِ ، حتى اكونَ المُسَوَّدا [1]

يقولونَ لي : اهلكتَ مالكَ ، فاقتصدْ ، وما كنتُ ، لولا ما تقولونَ ، سيّدا

كُلُوا الآنَ من رزقِ الإلهِ ، وأيسروا ، فإنَّ ، على الرّحمنِ ، رزقَكُمُ غدا

سأذخَرُ من مالي دِلاصاً ، وسابِحاً ، واسمَرَ خطّيّاً ، وعضباً مهنّدا [2]

وذلك يَكفيني منَ المالِ كُلّهِ ، مَصوناً ، اذا ما كان عنديَ مُتْلَدا

١ــ ألفى : أرى . المسودا : السيد .

٢ــ دلاص : درع لينة ملساء . سابح : فرس . الأسمر الخطي : الرمح المنسوب الى مرفأ الخط في البحرين ، حيث تصنع الرماح . عضب مهند : سيف من صنع بلاد الهند .

أبلــغ بني لأمٍ

أبْلِغْ بَني لأمٍ بأنَّ خيُوُلَهُمُ عقْرى،وانَّ مِجادَهم لم يمْجُدِ [1]

ها انَّما مُطِرَتْ سماؤكُمُ دَماً ، ورفعتَ رأسكَ مثلَ رأسِ الاصيَدِ

ليكونَ جيراني اُكالاً بينكُم ، بُخْلاً لكِنْدِيٍّ ، وسبْيِ مُزنِدِ [2]

وابنِ النُّجُود ، وان غدا مُتلاطِماً ، وابنِ العذَوَّر ذي العِجان الازبَدِ

ابْلِغ بني ثُعــل بأنّي لم اكُن ، ابداً ، لأفعلها ، طِوالَ المُسند

لا جِئتُهُم فلاً ، وأترُكَ صُحبتي نَهباً ، ولم تَغْدُرْ بقائِمِهِ يَدي [3]

---

١ ــ قال حاتم هذه الابيات بعد غلبته بني لأم بالمماجدة وعقره افراسهم واطعامه إياها للناس .

٢ ــ اكال : داء ينخر العضو الذي يصاب به فيقلق صاحبه . مزند : زائد .

٣ ــ فلا : منهزماً .

أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ من بعدي

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ ، وابنةَ مالِكِ ،

ويا ابنةَ ذي البُرْدينِ والفرسِ الوردِ [1]

إذا ما صنعتِ الزّادَ ، فالتمسي لهُ

أكيلاً ، فإنّي لستُ آكِلَهُ وحدي

أخاً طارِقاً ، أو جارَ بَيتٍ ، فإنّني

أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدي

وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ، ما دام ثاوياً ،

وما فيّ ، إلاّ تلكَ ، من شيمةِ العَبدِ

---

١ ـ قال حاتم هذه الابيات ، يخاطب امرأته «ماوية» بنت عبد الله ، وقصد إياها بتكرار اللفظة في صدر البيت ، وقصد (بذي البردين) عامر بن أحيمر بن بهدلة ، لقب بذلك يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء اسماء ، وأخرج المنذر بردين يبلو الوفود ، وقال : (ليقم أعز العرب قبيلة ، فليأخذهما) . فقام عامر بن أحيمر فأخذهما ، وائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر : (أأنت أعز العرب قبيلة ؟) قال : (العز والعدد في معد ، ثم في نزار ، ثم في مضر ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فلينافرني) أي فليفاخرني . فسكت الناس . فقال المنذر : (هذه عشيرتك كما تزعم، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟) فقال : (أ نا أبو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة . وأما في نفسي ، فشاهد العز شاهدي) ثم وضع قدمه على الارض فقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل . فلم يقم من أحد من الحاضرين ففاز بالبردين .

تلك عادتي

وقائلةٍ : أهلكتَ بالجُودِ مالَنا

ونفسَك ، حتّى ضرَّ نفسَكَ جودُها

فقلْتُ : دَعيني ، إنّما تلكَ عادَتي ،

لكُلِّ كَريمٍ عادةٌ يستعيدُها .

حرف الراء

تنوط لنا حبّ الحياة نفوسنا

بكَيتَ ، وما يُبكيكَ مِنْ طَلَلٍ قفرِ بسَقفِ اللّوَى بين عمورانَ فالغَمرِ [1]

بمُنْعَرَجِ الغُلاّنِ ، بينَ سَتيرَةٍ ، الى دار ذاتِ الهَضبِ ، فالبُرُقِ الحُمرِ

إلى الشِعب، من أعلى سِتارٍ ، فثَرْمَدٍ ، فبَلْدَةِ مَبنى سِنْبِسٍ لابنتَيْ عَمرِو

وما أهلُ طَوْدٍ ، مُكفَهِرٍّ حصونُه ، من الموْتِ ، إلاّ مثلُ مَن حلّ بالصحر [2]

وما دارِعٌ ، إلاّ كآخَرَ حاسِرٍ ، وما مُقتِرٌ ، إلاّ كآخَرَ ذي وَفْرِ

تَنُوطُ لَنا حُبَّ الحياةِ نُفُوسُنا ، شقاءً ، ويأتي الموتُ من حيثُ لاندري

أماوِيّ ! إمّا متُّ ، فاسْعَيْ بنُطْفَةٍ من الخَمر ، رِيّاً ، فانضَحِنَّ بها قبري [3]

١ــ ما في هذا البيت والابيات التي تليه اسماء اماكن .

٢ــ الطود : الجبل ــ الصحر : الصحراء .

٣ــ نضح : رش .

فلوْ أنّ عينَ الخمرِ في رأسِ شارفٍ، من الأُسدِ، وردٍ، لاعتلَجنا على الخمر

ولا آخذُ المَوْلى لسوءِ بلائهِ، وإنْ كانَ مَحنيّ الضلوعِ على غَمْرِ [1]

متى يأتِ، يوْماً، وارثي يبتغي الغنى، يجدْ جُمعَ كفٍّ، غيرِ ملءٍ ولا صِفْرِ

يجدْ فرَساً مثلَ العنانِ، وصارِماً حُساماً، اذا ما هُزّ لم يَرْضَ بالهبرِ [2]

وأسمرَ خطّيّاً، كأنّ كعُوبَهُ نوَى القَسْبِ، قدأُرمي ذراعاً على العشرِ

وإنّي لأستحيي من الارضِ أن أرَى بها النّابَ تَمشي، في عشيّاتها الغُبْرِ [3]

وعِشتُ معَ الاقوامِ بالفقرِ والغِنى، سَقاني بكأسَي ذاكَ كِلتَيهِما دَهري

أبلغ بني أسد

ألا أبلِغْ بني أسَدٍ رَسُولاً، وما بي أنْ أزُنَّكُمُ بغَدْرِ

فمَنْ لم يُوفِ بالجيرانِ، قِدْماً، فقَدْ أوْفتْ مُعاويَةُ بنُ بَكْرِ!!

١ــ المولى : ابن العم أو القريب اطلاقاً .

٢ــ الهبر : القطع

٣ــ الناب : الناقة المسنة

إن الطريق أمامنا

حَنَنتُ إلى الأجبالِ ، أجبالِ طيّءٍ ، وحَنَّتْ قَلوصي أن رأتْ سوط أحمرا[1]

فقُلتُ لها : إنّ الطّريقَ أمامَنا ، وإنّا لَمُحيُو رَبْعِنا انْ تَيَسّرا[2]

فيَا راكِبيَ عُلْيا جَديلَةَ ، انّما تُساماِن ضَيْماً، مُسْتَبيناً، فتَنظُرا

فما نَكَراهُ غيرَ أنّ ابنَ مِلْقَطٍ أراهُ، وقد أعطى الظُّلامةَ ،أوجَرا[3]

وإنّي لمُزْجٍ للمَطيّ على الوَجا ، وماأنا مِنْ خُلاّنِكِ ،ابنةَ عفزَرا

وما زِلتُ أسعى بينَ نابٍ ودارَةٍ ، بلَحْيانَ،حتى خِفتُ أنْ أتَنَصّرا[4]

وحتى حَسِبتُ اللّيلَ والصّبحَ ،إذ بدا، حِصانَينِ سَيّالَينِ جَوْناً وأشقَرا

لشِعْبٌ مِنَ الرّيّانِ أملِكُ بابَهُ، أُنادي بهِ آلَ الكَبيرِ وجَعْفَرا

أحَبُّ إليّ مِنْ خَطيبٍ رَأيتُهُ ، إذا قُلتُ مَعروفاً،تَبَدّلَ مُنْكَرا[5]

تُنادي إلى جاراتِها : إنّ حاتِماً أراهُ ، لَعَمْري، بَعدنا ، قد تغَيّرا

١ـ قال هذه القصيدة يذكر عفزر وانه ليس بصاحب ريبة •

٢ـ محيون : واجدون

٣ـ اوجر : خائف.

٤ـ ناب ودارة ولحيان : اسماء اماكن •

٥ـ نحسب ان الوزن يستقيم اكثر لو روي صدر البيت: « أجب لنفسي منخطيب « رأيته «

تَغَيَّرْتُ، إنّي غَيرُ آتٍ لِرِيبَةٍ، ... ولا قائلٌ، يوماً، لذي العُرْفِ مُنكَرا
فلا تَسأليني[1]، واسألي أيُّ فارسٍ، ... إذا بادَرَ القومُ الكَنيفَ المُسترا [1]
ولا تَسأليني، واسألي أيُّ فارسٍ، ... إذا الخَيلُ جالَتْ في قَناً قد تكَسّرا
فلا هيَ ما تَرْعى جَميعاً عِشارُها، ... ويُصبِحُ ضَيفي ساهِمَ الوَجه، أغبرا
متى تَرَني أمشي بسَيفيَ، وَسْطَها، ... تَخَفْني وتُضْمِرْ بَينَها أنْ تُجَزَّرا [2]
وإنّي ليَغشَى أبْعَدُ الحيّ جَفْنَتي، ... إذا وَرَقُ الطّلْحِ الطّوالِ تحَسّرا
فلا تَسأليني، واسألي بيَ صُحبَتي، ... إذا ما المَطيُّ، بالفَلاةِ، تَضَوّرا
وإنّي لَوَهّابٌ قُطوعي وناقَتي، ... إذا ما انتَشَيتُ، والكُميتَ المُصَدَّرا [3]
وإنّي كأشلاءِ اللّجامِ، ولنْ ترَى ... أخا الحرْبِ إلاّ ساهِمَ الوَجهِ، أغبرا [4]
أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها ... وإنْ شمّرَتْ عن ساقِها الحربُ شمّرا
وإنّي، إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَهُ ... قَدى الشّبرِ، أحمي الأنفَ أنْ أتأخّرا
متى تَبغِ وُدّاً من جَديلَةَ تَلْقَهُ، ... مَعَ الشّنْءِ منهُ، باقياً، مُتأثّرا
فإلاّ يُعادونا جِهاراً نُلاقِهِمْ، ... لأعدائِنا، رِدْءاً دَليلاً ومُنذِرا
إذا حالَ دوني، من سُلامانَ، رَملةٌ ... وَجدتُ تَوالي الوَصْلِ عندي أبْتَرا

١ــ الكنيف المستّر : الغابة الملتفة.

٢ــ تضمر : يخالج ضميرها

٣ــ قطوعي : بسطي .

٤ــ أشلاء اللجام : سيور اللجام القديمة البالية .

طال التجنّب والهجر

أماويّ ! قد طالَ التّجنّبُ والهجرُ ، وقد عذَرَتْني ، من طِلابكُمُ ، العذْرُ

أماويّ ! إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ، ويبقى ، من المالِ ، الاحاديثُ والذّكر

أماويّ ! إنّي لا أقولُ لسائِلٍ ، إذا جاءَ يوماً ، حلّ في مالِنا نَزْرُ[1]

أماويّ ! إمّا مانِعٌ فمُبَيَّنٌ ، وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزّجْرُ[2]

أماويّ ! ما يُغْني الثّراءُ عن الفتى ، إذا حشرَجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصّدر

إذا أنا دَلاّني ، الذينَ أحبّهُمْ ، لمَلْحُودَةٍ ، زُلْجٌ جوانِبُها غُبْرُ[3]

وراحوا عِجالاً يَنفُضونَ أكُفّهُمْ يقولونَ قد دَمّى أناملَنا الحَفْرُ

أماويّ ! إنْ يُصبحْ صَدايَ بقَفْرةٍ من الارْضِ ، لا ماءٌ هُناك ولا خمرُ[4]

ترَيْ أنّ ما أهلكتُ لم يكُ ضَرّني ، وأنّ يَدي ممّا بخِلْتُ به صِفْرُ

١ـ نزر : قسط ضئيل .

٢ـ نهنه : كف

٣ـ ملحودة : قبر .

٤ـ صدى الميت : جثته .

أماويَّ! إنّي، رُبَّ واحدِ أمّهِ أجَرْتُ، فلا قتلٌ عليهِ ولا أسْرُ

وقد علِمَ الأقوامُ، لوْ أنَّ حاتماً أرادَ ثراءَ المالِ، كانَ لهُ وَفْرُ[1]

وإنّيَ لا آلو، بمالٍ، صنيعةً، فأوّلُهُ زادٌ، وآخِرُهُ ذُخْرُ

يُفَكُّ بهِ العاني، ويُؤكَلُ طيّباً، وما إنْ تُعَرّيهِ القِداحُ ولا الخَمْرُ[2]

ولا أظلِمُ ابنَ العمِّ، إنْ كانَ إخوتي شُهُوداً، وقد أودى، بإخوتهِ، الدهرُ

غَنِينا زماناً بالتّصعلُكِ والغِنى، كما الدّهرُ، في أيّامِهِ العُسْرُ واليُسرُ

كَسَينا صُروفَ الدّهرِ ليناً وغِلظةً، وكُلّاً سقاناهُ بكاسيهِما الدّهْرُ

فما زادَنا بَأواً على ذي قَرابَةٍ، غِنانا، ولا أزرى بأحسابِنا الفقرُ[3]

فقِدْماً عَصَيتُ العاذلاتِ، وسُلِّطتْ على مُصْطفى مالي، أناملِيَ العَشْرُ

وما ضَرَّ جاراً، يا ابنةَ القومِ، فاعلمي يُجاوِرُني، ألّا يكونَ لهُ سِتْرُ

بعَيْنَيَّ عن جاراتِ قومي غَفْلَةٌ، وفي السّمعِ منّي عن حَديثِهِمِ وَقْرُ

١- وفر: كثير.

٢- العاني: الاسير – القداح: قداح الميسر.

٣- بأواً: افتخاراً.

صحا القلب

صَحا القلبُ من سلمى،ومن أُمِّ عامرِ وكنتُ أُراني عنهُما غيرَ صابرِ

ووَشَتْ وُشاةٌ بَينَنا ،وتَقاذَفَتْ نوَى غُرْبةٍ ،من بعدِ طولِ التَّجاوُرِ

وفتيانِ صِدْقٍ ضَمَّهم دَلَجُ السُّرى على مُسهَماتٍ ،كالقِداحِ ، ضوامر[1]

فلمّا أتَوْني قلتُ : خيرُ مُعَرَّسٍ ، ولم أطّرِحْ حاجاليهِمْ بمَعاذِرِ

وقُمتُ بمَوْشيّ المُتونِ ، كأنّهُ شِهابُ غَضاً،في كَفّ ساعٍ مبادر[2]

ليَشقى بهِ عُرْقوبُ كَوْماءَ جَبْلَةٍ ، عَقيلةِ أُدْمٍ ،كالهِضابِ ،بَهازِرِ[3]

فظَلّ عُفاتي مُكْرَمينَ ، وطابخي فَريقانِ مِنهُمْ : بينَ شاوٍ وقادِرِ

شآميَةٌ ، لم يُتّخَذْ لَهُ حاسِرُ الطّبيخِ ،ولا ذَمٌّ الخَليطِ المُجاوِرِ

١ـ الابل المسهمات : المزيلات .

٢ـ موشي المتون : هو السيف .

٣ـ كوماء جبلة : ناقة غليظة ـ عقيلة ادم:سمراء كريمة ـ البهازر : النوق السمينةالضخمة.

يُقَمِّصُ دَهْداقَ البَضيعِ ، كأنَّهُ ... رؤوسُ القطا الكُدْرِ ، الدِقاقِ الحناجرِ [1]

كأنَّ ضُلوعَ الجَنْبِ في فَوَرانِها ، ... إذا استَحْمَشَتْ ، أيدي نساءٍ حواسرِ

إذا استُنزِلتْ كانتْ هَدايا وطُعمةً ... ولم تُختَزَنْ دونَ العيونِ النَّواظِرِ

كأنَّ رِياحَ اللَّحمِ ، حِينَ تغَطمَطتْ ، ... رِياحُ عَبيرٍ بينَ أيدي العَواطِرِ [2]

ألا لَيتَ أنَّ الموتَ كانَ حِمامُهُ ، ... لَياليَ حَلَّ الحَيُّ أكنافَ حابِرِ

لَياليَ يَدْعوني الهوَى فأُجيبُـهُ ... حَثيثاً ، ولا أُرْعي إلى قَوْلِ زاجِرِ

ودَوِّيَّةٍ قَفْرٍ ، تَعاوَى سِباعُها ، ... عُواءَ اليَتامى مِنْ حِذارِ التَّراتِرِ [3]

قَطَعتُ بمِرْداةٍ كأنَّ نُسُوعَها ، ... تُشَدُّ على قَرْمٍ ، علَنْدى ، مَخاطِرِ

١ــ يقمص دهداق البضيع : يحرك قطع اللحم .

٢ــ تغطمطت : اشتد غليان مائها .

٣ــ التراتر : الشدائد .

الطاعِنون ، وخيلهم تجري

إنْ كُنتِ كارِهَةً مَعيشَتَنا ، هاتي ، فحُلّي في بَني بَدْرِ [1]

جاوَرْتُهم زَمَنَ الفَسادِ ، فنِعْمَ الحيُّ في العَوْصاءِ واليُسْرِ

فسُقيتُ بالماءِ النَّميرِ ، ولمْ أُتْرَكْ أُواطِسَ حَمْأةِ الجَفْرِ

ودُعيتُ في أُولى النَّديّ ، ولم يُنْظَرْ إليّ بأعيُنٍ خُزْرِ

الضّارِبينَ لدَى أعِنّتِهِمْ ، الطّاعِنينَ ، وخَيْلُهُمْ تَجْري

والخالطينَ نَحيتَهُمْ بِنُضارِهِمْ ، وذوي الغِنى منهمْ بذي الفَقْرِ [2]

---

١ ــ جاور حاتم ، في بني بدر ، من احترب من جديلة وثعل ، وكان ذلك زمن الفساد ، فقال ، يمدح بني بدر ، هذه الابيات .

٢ ــ هذا البيت وارد في عداد ابيات القصيدة ، في نسخ الديوان ، ولكننا نشك فيه ، نظراً لاختلاف وزنه عن وزن سائر الابيات .

هاجني الذكر

ألا إنّني قد هاجَني، الليلةَ ، الذِّكَرْ ... وماذاكَ من حُبِّ النساءِ ولا الأشَرْ[1]

ولكنّني ، ممّـا أصابَ عشيرتي ... وقَومي بأقرانٍ ، حواليهمِ الصُّبَرْ

ليالي نُمسي بين جَوٍّ ومِسطَحٍ ... نَشاوَى، لنا من كلّ سائمةٍ جَزَرْ

فيا ليتَ خيرَ الناسِ ، حيّاً وميتاً ، ... يقولُ لنا خيراً، ويُمضي الذي ائتمرْ

فإنْ كانَ شَرٌّ ، فالعَزاءُ ، فإنّنـا ... على وَقَعاتِ الدّهرِ، من قبلِها، صُبُرْ

سقى اللهُ، رَبُّ الناسِ ، سَحّاً وديمَةً ... جَنوبَ السَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ

بلادَ امرىءٍ ، لا يَعرِفُ الذّمَّ بيتُهُ ، ... لهُ المَشرَبُ الصّافي، وليسَ له الكدَرْ

تذكَّرْتُ من وَهمِ بنِ عمرٍو جلادةً ، ... وجُرأةَ مَعداهُ ، اذا نازِحٌ بَكَرْ

فأبْشِرْ ، وقَرَّ العينَ منكَ ، فإنّني ... أجيءُ كَريماً ، لا ضَعيفاً ولا حَصِرْ

---

١ — أغارت طي على ابل للنعمان بن الحارث بن عمرو الغساني ، ورجل من بني حفنة ، وقتلوا ابناً له . وكان الحارث اذا غضب ، حلف ليقتلن ، وليسبين الذراري ، فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دم واحد . فخرج يريد طيئاً فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلا رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم ، وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان ، فأصابتهم مقدمات خيله ، فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول : يا حاتم أسر ابو هذا . فلم يلبث إلا ليلة حتى سار الى النعمان ومعه ملحان بن حارثة وكان لا يسافر إلا وهو معه ، فقال حاتم :

فدتك النفس

فككْتَ عَديّاً كلَّها مِنْ إسارِها ،
فأفضِلْ ، وشَفّعْني بقَيسِ بن جحدرِ [1]
أبوهُ أبي ، والأمّهاتُ امّهاتُنا ،
فأنعِمْ ، فدتكَ النفسُ ، قومي ومعشري

عاقر

أرى أجأً ، مِنْ وَراءِ الشّقيقِ والصّهْوِ ، زُوّجَها عامِرُ [2]
وقد زَوّجوها ، وقد عَنَسَتْ ، وقد أيقَنُوا أنّها عاقِرُ
فإنْ يَكُ أمْرٌ بأعْجازِها ، فإنّي ، على صَدْرِها ، حاجِرُ

١ـ لما اطلق النعمان الغساني بني عبد شمس ، اكراماً لحاتم ، بقي قيس بن جحدر بن ثعلبة، وهو من لخم ، وأمه من بني عدي ، وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر ، فقال له النعمان : « أفبقي احد من اصحابك » فقال حاتم هذين البيتين :

١ـ سارت محارب حتى نزلوا أعجاز أجأ ، وكانت منازل بني بولان وجرم بأموالهم ، فخافت طيء ان يغلبوها عليها، فقال حاتم هذه الابيات يحضهم .

أوقد !

أوقِدْ ، فإنّ الليلَ ليلٌ قَرّ [1]

والرّيحَ ، يا موقِدُ ، ريحٌ صِرّ ،

عَسَى يَرى نارَكَ مَنْ يَمُرّ ،

إنْ جَلَبَتْ ضَيفاً ، فأنتَ حُرّ !

ندى كفي ! !

ألا سَبيلٌ إلى مالٍ يُعارِضُني ، كما يُعارِضُ ماءُ الأبطحِ الجاري

ألا أُعانُ على جودي بميسرةٍ ، فلا يَرُدّ نَدَى كَفّيّ إقتاري

---

١ ـ كان حاتم ، اذا جن الليل ، يوعز الى غلامه ان يوقد النار في يفاع من الارض ، لينظر اليها من أضله الطريق ، فيأوي الى منزله ، ويردد هذه الابيات .

لا غرم ولا عار

عَمرُو بنُ أوْسٍ ، إذا أشياعُهُ غضِبوا ،
فأحرزوهُ ، بلا غُرْمٍ ولا عـارِ [1]
إنّ بَني عَبْدِ وُدّ كُلّمـا وَقعَتْ
إحْدَى الهَنَاتِ ، ألَوْها غيرَ أغْمارِ

---

1 ــ خرج حاتم في نفر من اصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف ابن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من الارض . فقال لهم أوس بن حارثة ابن لأم : لا تعجلوا بقتله ، فان أصبحتم ، وقد أحدق الناس بكم ، استجرتموه . وإن لم تروا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه ، فأجارهم . فقال حاتم هذين البيتين .

رسالة

ألا أبْلِغا وَهْمَ بنَ عَمْرٍو رِسالَةً ،

فإنّكَ أنتَ المرْءُ بالخيرِ أجدَرُ

رَأيتُكَ أدْنَى النّاسِ منّا قَرابَةً ،

وغيرَكَ منهُمْ كنتُ أحبُو وأنصُرُ[1]

إذا ما أتَى يَوْمٌ يُفَرّقُ بَيْنَنا ،

بمَوْتٍ ، فكُن يا وَهْمُ ذو يَتَأخّرُ[2]

---

١ ـ أدنى قرابة : أقرب قرابة ـ أحبو : أعطي .

٢ ـ ذو : الذي ، وهي تلفظ على هذا النحو في لغة « طيء » .

نُهينُ المالَ في غيرِ ظنّة

ألا أرِقَتْ عيني ، فبِتُّ أُديرُها ، حِذارَ غدٍ ، أحجى بأنْ لا يضيرُها

إذا النّجمُ أضحى ، مغربَ الشمسِ مائلاً ولم يكُ ، بالآفاقِ ، بَوْنٌ ينيرُها

إذا ما السّماءُ ، لم تكنْ غيرَ حلبةٍ ، كجِدّةِ بيتِ العنكبوتِ ، يُنيرُها[1]

فقد علِمَتْ غَوْثٌ بأنّا سَراتُها ، إذا أُعلِمَتْ ، بعدَ السِّرار ، أُمورها[2]

إذا الرّيحُ جاءتْ من أمامِ أخائفٍ ، وألْوَتْ ، بأطنابِ البُيوتِ ، صدورها

وإنّا نُهينُ المالَ ، في غيرِ ظِنّةٍ ، وما يشتكينا في السّنينَ ، ضريرُها

إذا ما بخيلُ النّاسِ هرّتْ كلابُهُ ، وشقّ ، على الضيفِ الضعيفِ عقورُها[3]

فإنّي جبانُ الكلبِ ، بيتي ، مُوَطّأٌ ، أجودُ ، إذا ما النّفسُ شحّ ضميرُها[4]

---

١ ــ الجدة : الحداثة .

٢ ــ سراتها : أشرافها .

٣ ــ هرت كلابه : نبحت في وجه الضيوف ــ العقور : الذي يعض .

٤ ــ جبان الكلب : كناية عن الكرم والضيافة .

وإنَّ كِلابي قد أُهِرَّتْ وعُوِّدَتْ، قليلٌ، على مَنْ يعتريني[1] هَريرُها[2]

وما تشتكي قِدري، إذا الناسُ أمحلَتْ، أُؤَثِّفُها طَوْراً، وطَوْراً أُميرُها

وأُبْرِزُ قِدْري بالفضاءِ، قليلُها يُرى غيرَ مضنونٍ بهِ، وكثيرُها

وإبلي رَهْنٌ أنْ يكونَ كريمُها عقيراً، أمامَ البيتِ، حينَ أُثيرُها

أُشاوِرُ نفسَ الجُودِ حتى تُطيعني، وأتركُ نفسَ البُخلِ، لا أستشيرُها

وليسَ على ناري حِجابٌ يكُنُّها لمُسْتَوْبِصٍ ليلاً، ولكِنْ أُنيرُها[3]

فلا، وأبيكَ، ما يظَلّ ابنُ جارَتي يطوفُ حواليْ قِدْرِنا، ما يطورُهُ

وما تشتكيني جارَتي، غيرَ أنّها، إذا غابَ عنها بعلُها، لا أزورُها

سيَبْلُغُها خيري، ويرجِعُ بعلُها إليها، ولمْ يُقْصَرْ عليَّ سُتُورُها

وخيلٍ تعادَي للطِّعانِ شهِدْتُها، ولوْ لم أكُنْ فيها لساءَ عَذيرُها[4]

وغمْرَةِ موتٍ ليسَ فيها هوادةٌ، يكونُ صُدورَ المَشرَفيّ جُسورُها

---

١ ـ يعتريني : يجيئني .

٢ ـ مستوبص : مستضيء .

٣ ـ عذيرها : نصيرها .

صَبرْنا لها في نَهكِها ومُصابِها ، بأسيافِنا ، حتى يَبوخَ سَعيرُها [1]

وعَرجَلَةٍ شُعْثِ الرّؤوسِ، كأنّهم بنو الجِنِّ لم تُطبَخْ بقِدْرٍ ، جَزورُها [2]

شَهِدْتُ وعَوّاناً، أُمَيْمَةُ ، انّنا بنو الحربِ نَصْلاها، إذا اشتدَّ نورُها

على مُهرَةٍ كَبداءَ، جرداءَ، ضامِرٍ أمينٍ شظاها ، مُطْمَئِنٍّ نُسُورُها [3]

وأقسَمْتُ، لا أُعطي مليكاً ظُلامَةً وحَولي عَدِيٌّ ، كهلُها وغريرُها

أبَتْ ليَ ذاكُمْ أُسرَةٌ ثُعَلِيَّةٌ، كريمٌ غِناها ، مُستَعِفٌّ فقيرُها

وخُوصٍ دِقاقٍ ،قد حدَوْتُ لفِتيَةٍ عليهنَّ ، إحداهنَّ قد حلَّ كُورُها

---

١ ـ حتى يبوخ سعيرها : حتى تنطفيء نارها .

٢ ـ عرجلة : رجال .

٣ ـ كبداء : مرتفعة الكبد .

حرف السين

فوزوا واحبسوا

ولقدْ بغَى، بجلادِ أوْسٍ، قومُهُ ذُلاًّ، وقدعلِمتْ بذلك، سِنْبِسُ [1]

حاشا بَني عَمْرِو بنِ سِنْبِسَ، إنّهم مَنَعُوا ذِمارَ أبيهِمِ، أنْ يَدنَسوا

وتَواعَدوا وِرْدَ القُرَيّةِ غُدْوَةً وحَلَفْتُ باللهِ العَزيزِ لنُحْبَسُ

واللهُ يعلَمُ لوْ أتَى بسُلافِهِمْ طرْفُ الجريضِ لظلّ يومٌ مُشكِسُ

كالنّارِ والشّمسِ التي قالتْ لها : بيَدِ اللُّوَيمِسِ، عالِماً ما يَلْمِسُ

لاتَطْعَمنّ الماءَ إنْ أوْرَدْتَهمْ لتَمامِ ظِمْئِكُمُ، ففوزوا واحبسوا

أو ذو الحُصَيْنِ، وفارِسٌ ذو مِرّةٍ بكَتيبَةٍ، مَنْ يُدْرِكوهُ يَفرِسُ

ومُوطّأٌ الأكنافِ، غيرُ مُلَعَّنٍ في الحَيّ مَشّاءٌ اليَتْهِ المجلسُ

---

١ ـ كان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما . فبلغ ذلك حاتماً ، فقال هذه الابيات :

لم يُنسني

لم يُنسِنِي أطلالَ «ماويَّةٍ» ناسي ،

ولا أكثرُ الماضي ، الذي مثلُهُ يُنْسي

اذا غربَتْ شَمْسُ النّهارِ وَرَدْتُها،

كما يَرِدُ الظّمآنُ آيةَ الخِمْسِ

حرف العين

ذمار ابيهم

لَعَمْرُكَ ، ما أضاعَ بَنُو زِيادٍ ذِمارَ أبيهِمِ ، فيمَنْ يُضيعُ [1]

بَنو جِنِّيَّةٍ وَلَدَتْ سُيُوفاً صَوارِمَ ، كُلُّها ذَكَرٌ صَنيعُ

وجارَتُهُمْ حَصانٌ ما تُزَنَّى ، وطاعِمَةُ الشِّتاءِ ، فما تَجوعُ

شرى وُدّي وتَكرِمَتي جَميعاً ، لآخِرِ غالِبٍ ، أبَداً ، رَبيعُ

---

١ ـ جاور حاتم بني زياد ، في زمن الفساد ، وكانت حرب الفساد في الجاهلية بين جديلة والغوث بني زياد بن عبد الله من بني عبس ، فأحسنوا جواره ، فقال هذه الابيات .

أقصّرُ كفّي

وإنّي لأستحيي صِحابي أنْ يَرَوْا مكانَ يَدي، في جانبِ الزّادِ، أقرَعا

أُقَصِّرُ كَفّي أنْ تنالَ أكُفَّهُمْ اذا نحنُ أهْوَيْنا ، وحاجاتُنا معا

وانّكَ مهْما تُعْطِ بَطنكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ ، نالا مُنتهى الذّمّ أجمعا

أبيتُ خَميصَ البطنِ مضطمِرَ الحشا حَياءً ، أخافُ الذّمّ أنْ أتَضَلّعا

اهلي فداؤك

« لما اسر النعمان الغساني سبعين رجلا من بني اخزم رهط حاتم دخل عليه حاتم فأنشده ابياتاً فأعجب به ، واستوهبهم منه فوهب له بني امرىء القيس بن عدي ثم انزله فأتى بالطعام والخمر فقال له ملحان بن حارثة ، وكان معه : اتشرب الخمر وقومك في الأغلال ؟ قم اليه فسله اياهم ، فدخل عليه فأنشده : »

انّ امرأ القيسِ أضحى من صنيعتِكم وعبدَ شمسِ أبَيتَ اللّعنَ فاصطنِعِ

انّ عَدِيّاً ، اذا مَلّكْتَ جانِبَها مِن أمرِ غَوثٍ على مرْأىً ومُستمَعِ

ثمّ قال :

أتبعُ بني عبدِ شمسٍ أمرَ صاحبِهم ... أهلي فداؤكَ، ان ضرّوا وان نفعوا

لا تجعلنّا، أبيتَ اللعن، ضاحكةً ... كمعشرٍ صُلِموا الآذانَ أو جُدعوا

أو كالجناحِ، اذا سُلّتْ قوادِمُهُ، ... صار الجناحُ، لفضلِ الرّيشِ يتّبعُ

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم .

حرف الفاء

إذا مات منّا سيّدٌ

أرَسْماً جديداً، من نوارَ، تعرّفُ، تُسائلُهُ، اذْ ليسَ بالدّارِ موقِفُ
تَبَغَّ ابنَ عَمٍّ الصِّدقِ، حيث لقيتَهُ، فإنّ ابنَ عمّ السّوءِ، انْ سَرّ يَخلف
اذا مات مِنّا سيّدٌ قامَ بعدَهُ نظيرٌ لهُ، يُغني غِناهُ ويُخْلِفُ[1]
واني لأَقْري الضّيفَ، قبلَ سؤالِهِ وأطعَنُ قِدْماً، والأسنّةُ ترعُفُ[2]
واني لأخزَى أنْ تُرَى بي بِطْنَةٌ، وجاراتُ بيتي طاوياتٌ، ونُحّفُ
واني لأُغشي أبعَدَ الحيّ جفنَتي، اذا حرّكَ الأطنابَ نكباءُ حرْجَفُ[3]
وانّيَ أرْمي بالعداوةِ أهلَها، وانّيَ بالأعداءِ لا أتَنَكّفُ

١- يغني غناه : يقوم مقامه .

٢- ترعف : تسيل بالدم .

٣- مرهف : ريح باردة شديدة .

وانّي لأُعطي سائلي ، ولرُبّما   أكلَّفُ ما لا استطيعُ، فأكلَفُ [1]

وانّي لمَذْمومٌ ، اذا قيلَ حاتِمٌ   نبا نَبْوَةً ، انّ الكريمَ يُعنَّفُ

سأبى ، وتأبى بي أُصولٌ كريمةٌ ،   وآباءُ صِدْقٍ ، بالموَدّةِ،شُرِّفوا

وأجعَلُ مالي دونَ عِرْضيَ ، انّني   كذلِكُمُ مِمّا أُفيدُ وأُتلِفُ

وأغفِرُ، انْ زَلّتْ بموْلايَ نَعْلَةٌ   ولا خيرَ في الموْلى،اذا كان يُقرِفُ [2]

سأنصُرُهُ ، ان كان للحقّ تابعاً ،   وان جار لم يَكثُرْ عليّ التّعطّفُ

وانْ ظلَموهُ قُمْتُ بالسّيفِ دونَه   لأنصُرَهُ ، انّ الضّعيفَ يُؤنّفُ [3]

وانّي ، وانْ طالَ الثّواءُ،لَمَيّتٌ،   ويَعْطِمُني،ماوِيَّ،بيتٌ مُسقّفُ [4]

وانّي لَمَجْزِيٌّ بما أنا كاسِبٌ ،   وكلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بماهوَ متْلِفُ

١ـ أكلف : اجتمل بكثير من الجهد .

٢ـ مولاي: ابن عمي ـ يقرف: يذكر بسوء .

٣ـ يؤنف : يضرب على أنفه ، اي يكره على عمل رغم أنفه .

٤ـ يعطمني : يهلكني .

منتهى للكرم

قُدُوري ، بصحراءَ ، منصوبةٌ ، وما ينبَحُ الكَلْبُ أضْيافِيَهْ

وانْ لم أجِــدْ لِنَزيلي قِرًى ، قَطَعْتُ لهُ بعضَ أطرافِيَهْ

حرف اللام

خير سبيل المال ما وصلا

مهْلاً نَوارُ، أقِلّي اللّوْمَ والعَذَلا، ... ولا تقولي، لشيءٍ فاتَ، ما فعَلا ؟
ولا تقولي لمالٍ، كنتُ مُهْلِكَهُ، ... مهلاً، وإن كنتُ أُعطي الجِنَّ والخبلا
يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً، ... إنَّ الجوادَ يرى، في مالِهِ، سُبُلا
إنَّ البخيلَ، اذا ما ماتَ، يتْبَعُهُ ... سوءُ الثّناءِ، ويحوي الوارِثُ الإبِلا
فاصدُقْ حديثَكَ، انَّ المرءَ يَتبعُهُ ... ما كان يَبني، اذا ما نَعْشُهُ حُمِلا
لَيتَ البخيلَ يراهُ النّاسُ كُلُّهُمُ ... كما يراهمْ، فلا يُقرَى، اذا نزَلا
لا تَعْذِليني على مالٍ وصلتُ بهِ ... رَحْماً، وخيرُ سبيلِ المالِ ما وصَلا
يَسعى الفتى، وحِمامُ الموْتِ يُدرِكُهُ ... وكلُّ يومٍ يُدَنّي، للفتى، الأجَلا
إنّي لأعْلَمُ أنّي سوفَ يُدرِكُني ... يوْمي، وأُصبحُ عن دُنيايَ مُشتغِلا

فليتَ شعري ، وليتٌ غيرُ مُدركَةٍ ، لأيّ حالٍ بهــا أضحَى بنُو ثُعَلا

أبلِـغْ بَني ثُعَلٍ عنّي مُغَلْغَلَةً ، جَهدَ الرّسالةِ لا مَحكاً،ولا بُطُلا

أُغزُوا بَني ثُعَلٍ ،فالغَزْوُ حظُّكُمُ عُدّوا الرّوابي ولا تبكوا لمن نكَلا

وَيْهاً فِداؤكمُ أمّي وما وَلَدَتْ ، حامُوا على مجدِكُم واكفوا من اتّكلا

إذ غابَ مَن غابَ عنهم من عشيرتِنا وأبدَتِ الحرْبُ ناباً كالِحاً،عَصِلا

اللهُ يَعْلَمُ أنّي ذو مُحافَظَـةٍ ، ما لم يَخُنّي خليلي يَبتَغي بَدَلا

فإنْ تَبَدّلَ ألفاني أخــا ثِقَةٍ ، عَفَّ الخليقةِ ، لا نِكْساً ولا وَكِلا

المجد والبذل

وإنّي لَعَفُّ الفَقْرِ ، مُشتَرَكُ الغِنى ، وَوُدّكَ شَكْلٌ لا يوافِقُهُ شكلي [1]

وشَكلي شَكلٌ لا يقُومُ لمِثْلِهِ ، من النّاسِ ، إلاّ كلُّ ذي نيقةٍ مثلي

ولي نِيقَةٌ في المجدِ والبَذلِ لم تكنْ تأنّقَها ، فيما مضَى ، أحَدٌ قَبلي

١ــ قال حاتم هذه الابيات لما تحول عنه جده سعد بن الحشرج ، فخرج بأهله ، وخلف حاتماً في داره .

وأجعلُ مالي دونَ عِرْضِيَ، جُنّةً   لنَفسي، فأستَغني بما كانَ من فضلي

ولي، معَ بذلِ المالِ والبأسِ، صَولةٌ   اذا الحربُ أبدت عن نواجذها العُصل

وما ضَرّني أنْ سارَ سَعْدٌ بأهْلِه،   وأفرَدَني في الدّارِ، ليسَ معي أهلي

سيكفي ابتِنايَ المجدَ، سعدَ بن حشرج   وأحمِلُ عنكم كلّ ما حَلّ من أزْلي

وما مِنْ لئيمٍ عالَهُ الدّهْرُ مَرّةً،   فيَذكُرَها إلاّ استمالَ الى البُخْل

لا نطرق الجارات

لا نطرُقُ الجاراتِ، من بعدِ هَجعَةٍ   منَ اللّيلِ، إلاّ بالهَديّةِ تُحْمَل

ولا يُلْطَمُ ابنُ العَمّ، وَسطَ بيوتِنا   ولا نتَصَبّى عِرْسَهُ، حينَ يَغفُل

كيف الزمان عليكما

أتى حاتم محرقاً. فقال له محرق : بايعني. فقال له : إن لي اخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك، والا فلا . قال : فاذهب اليهما فإن اطاعاك فأتني بهما ، وان أبيا فآذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني منَ الدَّيّانِ ، أمسِ ، رِسالةٌ، وغَدْراً بحيّ ما يقولُ مُواسِلُ

هُمَا سألاني ما فعلتُ ، وإنّني كذلِكَ ، عمّا أحدَثا ، أنا سائِلُ

فقلتُ:ألا كيفَ الزّمانُ عليكُما ؟ فقالا : بخَيرٍ،كلُّ أرْضِكَ سائِلُ

فقال محرّق : ما اخواه ؟ فقيل له : طرفا الجبل . فقال : ومحلوفه لأجلّلن مواسلاً الريط مصبوغاتٍ بالزيت ثم لاشعلنّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهلٌ مُرتقٍ بين مَداخلِ سبلان. فلمّا بلغ ذلك محرّقاً قال: لأقدمن عليك قريتك . ثم انّه اتاه رجلٌ فقال له : انّك ان تقدم القرية تهلك . فانصرف ولم يقدم .

ذو المال الكثير

إذا كنتَ ذا مالٍ كثيرٍ، مُوَجَّهاً، تُدَقَّ لك الأفحاءُ في كلّ منزلِ [1]

فإنّ نزيعَ الجَفرِ يُذهبُ عيمتي ، وأبلُغُ بالمَخشوبِ، غيرِ المُفلفَلِ [2]

١ـ قال حاتم هذين البيتين لوهم بن عمرو .

٢ـ نزيع الجفر : الماء المنزوع من البئر الواسعة . عيمتي : شهوتي . المخشوب : للّحم النيء .

حرف الميم

لحى الله صعلوكا

أَتَعْرِفُ أطْلالاً ونُؤْياً مُهَدَّما ، كخَطّكَ،في رَقٍّ ،كتاباً منَمنَما [1]

أذاعتْ بهِ الأرْواحُ، بعدَ أنيسِها ، شُهُوراً،وأيّاماً،وحَوْلاً مُجرَّما

دوارِجَ،قد غيّرْنَ ظاهرَ تُرْبِهِ وغيّرَتِ الأيّامُ ما كانَ مُعْلَما [2]

وغيّرَها طُولُ التّقادُمِ والبِلَى ، فما أعرِفُ الأطْلالَ،الاّ توهُّما

تهادى عليها حَلْيُها ، ذاتَ بهجةٍ ، وكَشحاً،كطَيّ السابريّةِ ، أهضَما [3]

١ـ النؤي : الحفرة التي تحيط بالخيمة لمنع السيل من التسرب اليها .

٢ـ دوارج : جمع دارجة ، وهي صفة للروح التي تحمل التّراب وتدرج به .

٣ـ السابرية : الثياب الرقيقة الجيدة .

وَنحراً كفَى نُورَ الجَبينِ ، يَزينُهُ تَوَقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٌ ، مُنَظَّما

كجَمرِ الغَضا هَبّتْ به، بعدَ هجعة من الليلِ، أرْواحُ الصَّبا، فتنَسّما

يُضيءُ لنا البَيتَ الظّليلُ، خَصاصةً اذا هيَ، لَيلاً، حاوَلَتْ أنْ تَبَسّما[1]

اذا انقلبَتْ فوْقَ الحَشيّةِ ، مرّةً، تَرَنّمَ وَسْواسُ الحُليِّ تَرَنُّما[2]

وعاذِلَتينِ هَبّتا ، بَعدَ هَجْعَةٍ ، تَلُومانِ مِتْلافاً ، مُفيداً، مُلَوَّما

تَلومانِ ، لمّا عَوّرَ النّجمُ، ضِلّةً، فتى لا يرى الإتلافَ، في الحمدِ، مغرَما

فقلتُ ، وقد طالَ العِتابُ عليهِما، ولوْ عذَراني، أنْ تبينا وتَصْرَما

ألا لا تَلُوماني على ما تَقَدّمــا ، كفى بصُروفِ الدهر، للمرء، مُحكِما

فإنّكُمــا لا ما مضَى تُدْرِكانِهِ ، وَلســتُ على ما فاتَني مُتَنَدّما

فنفسَكَ أكرِمْها، فإنّكَ انْ تَهُنْ عليكَ فلن تَلقي لك الدهرَ، مُكرِما

أهِنْ للّذي تَهوَى التّلادَ ، فانّهُ اذا مُتَّ كان المالُ نَهْباً مُقَسَّما

١ــ خصاصة : كوة .

٢ــ الحشية : الفراش .

ولا تشقَيَنْ فيه، فيَسعَدَ وارثٌ   به، حين تخشى أغبرَ اللَّوْنِ، مُظلِما [3]

يُقَسِّمُهُ غُنْماً، ويَشري كرامةً،   وقد صِرْتَ في خطٍّ من الأرض أعظُما

قليلٌ بهِ ما يَحمَدَنَّكَ وارثٌ،   اذا ساقَ مما كنتَ تجمعُ مَغنَما

تحمَّلْ عن الأدْنَينَ، واستَبقِ وُدَّهم   ولن تستطيعَ الحِلْمَ حتى تَحلَّما [1]

متى تَرْقَ أضغانَ العشيرةِ بالأنَا   وكفِّ الأذى يُحسَمْ لك الداءُ مَحسِما [2]

وما ابتعثتَني، في هَوايَ، لحاجةٌ،   اذا لم أجِدْ فيها إمامي مُقدَّما

اذا شِئْتَ ناوَيْتَ امرأَ السَّوْءِ ما نزا   اليكَ، ولا طَمَنْتَ اللَّئيمَ المُلطَّما

وذو اللُّبِّ والتقوى حقيقٌ، اذا رأى   ذوي طَبَعِ الاخلاق، ان يتكرَّما

فجاوِرْ كريماً، واقتدِحْ من زِنادِهِ   وأسنِدْ اليهِ، انْ تطاوَلَ، سُلَّما

وعَوْراءَ قد اعرَضْتُ عنها فلم يَضِرْ   وذي أوَدٍ قوَّمْتُهُ، فتقوَّما

واغفِرُ عَوْراءَ الكريمِ ادِّخارَهُ،   وأصفحُ مِنْ شَتمِ اللئيمِ، تكرُّما

---

١ ــ أغبر اللون مظلماً : كناية عن القبر .

٢ ــ الأدنين : الاقربين .

٣ ــ الأنا : ترخيم الاناة أي الصبر والحلم .

ولا أخذِلُ المولى ، وإن كان خاذِلاً ... ولا أشتمُ ابنَ العمِّ ، ان كانَ مُفحَما[1]

ولا زادَني عنهُ غِنائي تَباعُدا ، ... وان كانَ ذا نقصٍ من المالِ ، مُصرِما

ولَيلٍ بَهيمٍ قد تَسَربَلتُ هَولَهُ ... اذا الليلُ ، بالنِّكسِ الضعيفِ تجهّما[2]

ولن يَكسِبَ الصعلوكُ حمداً ولا غنىً ... اذا هوَ لم يركبْ ، من الأمرِ ، مُعظَما

يرى الخَمصَ تَعذيباً ، وان يلقَ شبعةً ... يَبِتْ قلبُهُ ، من قِلّةِ الهمِّ ، مُبهَما[3]

لحى الله صُعلوكاً ، مُناهُ وهَمُّهُ ، ... من العيشِ ، أن يَلقى لَبوساً ومَطعما

يَنامُ الضحى ، حتى اذا ليلُهُ استوى ، ... تَنبّهَ مَثلوجَ الفؤادِ ، مُوَرَّما

مُقيماً مع المُثرِينَ ، ليسَ ببارحٍ ، ... اذا كان جدوى من طعامٍ ومَجثِما[4]

ولله صُعلوكٌ يُساوِرُ هَمَّهُ ، ... ويمضي على الأحداثِ والدهرِ مُقدِما

فتى طَلِباتٍ ، لا يَرى الخَمصَ تَرحةً ... ولا شَبعَةً ، إنْ نالَها ، عدّ مَغنَما

---

١ ــ مفحماً : عيياً .

٢ ــ تسربلت هوله : لبست لباس الخوف منه .

٣ ــ الخمص : الجوع .

٤ ــ مجثماً : منزلا ، مقاماً .

إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضَتْ، يَيمّمَ كُبراهُنّ، ثُمّتَ صمّما
ترى رُمحَهُ، ونَبلَهُ، ومِجنّهُ، وذا شُطَبٍ عضبَ الضريبةِ مِخذَما
وأحناءَ سَرجٍ فاترٍ، ولِجامَهُ، عتادَ فتىً هيجاً، وطِرفاً مُسَوّما

أصحاب حاتم

وفِتيانِ صِدْقٍ، لا ضغائنَ بينهمْ، اذا أرمَلوا لم يُولعُوا بالتّلاومِ
سرَيْتُ بهمْ، حتى تكِلّ مطيُّهُمْ وحتى تَراهُمْ فوقَ أغْبَرَ طاسِمِ
وإنّي أذِينٌ ان يقولوا: مُزايِلٌ، بأيٍّ، يقولُ القومُ، اصحابُ حاتمِ
فإمّا تُصيبُ النّفسُ اكبرَ همّها، وإمّا أُبَشّرْكُمْ بأشعَثَ غانِمِ

الفصادُ وخيمُ

« أسرت عنزة حاتماً فجعل نساء عنزة يدارين بعيراً ليفصدنه فضعفن عنه فقلن : يا حاتم افاصده انت إن اطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن احدى يديه فوجأ لبته فاستدمينه . ثم ان البعير عضد اي لوى عنقه اي خر فقلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادي ، فجرت مثلا . قال فلطمتــه احداهن : فقال : ما أنتن نساء عنزة بكرام ، ولا ذوات احلام . وان امرأة منهن يقال لها عاجزة اعجبت به فأطلقته ولم ينقموا عليه ما فعل . فقـــال حاتم يذكر البعير الذي فصده : »

كذلــكَ فصْدي إنْ سألْتُ مَطيِّتي

دَمَ الجَوْفِ ، اذْ كلُّ الفِصادِ وَخيمُ

أطوي البطن والزاد يُشتهى

اما والذي لا يَعلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ ،

ويُحيِي العِظَامَ البِيضَ ، وهِيَ رَمِيمُ

لقد كنتُ اطوي البطنَ ، والزّادُ يُشتَهَى ،

مَخافَةَ ، يوماً ، ان يُقالَ لئيمُ

وما كانَ بي ما كانَ ، والليلُ مِلبَسٌ ،

رِواقٌ له ، فوقَ الإكامِ ، بَهيمُ

ألُفّ بحِلسِي الزّادَ ،من دونِ صُحبتي ،

وقد آبَ نَجمٌ ، واستَقلّ نُجُومُ [1]

---

١ ـ الحلس : قطعة القماش التي توضع تحت سرج الدابة ، او تبسط على الارض تحت الثياب والأمتعة – استقل : ارتفع .

تداركني جدّي

« هلك ابو حاتم، وحاتم صغير، فكان في حجر جده سعد بن الحشرج ، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله، ضيَّق عليه جده ورحل عنه بأهله وخلفه في داره . فبينا حاتم يوماً بعد ان انهب ماله وهو نائم اذ انتبه، واذا حوله مائتا بعير او نحوها تجول ويحطم بعضها بعضاً فساقها الى قومه فقالوا : يا حاتم أبق على نفسك فقد رزقت مالاً ولا تعودَنَّ الى ما كنت عليه من الإسراف . قال : فإنها نهبى بينكم . فانتهبت، فأنشأ حاتم يقول : »

تداركَني جَدّي بِسَفْحِ مَتالِعِ ،

فلا يَيْأسَنْ ذو قَوْمِهِ انْ يُغَنَّما

جزل لا ضرام

لا تَستَثرِي قِدْري ، اذا ما طبَختُها ،

علَيّ ، اذا ما تَطبُخينَ ، حَرامُ

ولكنْ بهذاكَ اليَفاعِ ، فأوقِدي

بجزْلٍ ، اذا أوقَدْتِ ، لا بضِرامِ

مرّ السّيف على الخطم

وَدِدْتُ ، وَبيْتِ اللهِ ، لو أنّ أنفَهُ

هواءٌ ، فما مَتّ المُخاطَ عن العَظْمِ ،

ولكنّما لاقاهُ سيفُ ابنِ عَمِّهِ ،

فأبَ ، ومرّ السّيفُ منهُ على الخَطْمِ !

خير حاتم

« قال ابن الكلبي : أسرت بنو القذان من عنزة كعب بن مامة الأيادي وحاتم طيء ، والحارث بن ظالم ، وكان أسر حاتماً رجلان : « عمرو » و « ابو عمرو » ، فأطلقاهُ على الثواب ، فلم يأتياه ، مخافة ان يأتيـــا طيئاً فتأسرهما ، فقال » :

لَعَمرُ ابي عَمروٍ وعمروٍ كلَيْهمـــا

لقَد حُرِما من حالِـمٍ خيرَ حالمِ ،

حسود العشيرة

أبا الخَيْبَرِيِّ ، وأنتَ امرُؤٌ ، حَسُودُ العشيرَةِ ، شَتّامُها
فماذا أرَدْتَ الى رِمَّــةٍ ، بدَوِّيَّــةٍ ، صَخِبٍ هامُها
تُبَغِّي أذاهــا وإعْسارَها ، وحَوْلَكَ غَوْثٌ ، وأنعامُها
وإنّا لَنُطْعِــمُ أضْيافَنا ، مِنَ الكُومِ ، بالسَّيفِ نعتامُها

حرف النون

محافظة على حسبي وديني

« يروى عن ابي صالح قال : حدث الهيثم عن مجاهد عن الشعبي قال: كان عبد الله بن شداد بن الهاد رجلاً من ابناء رسول الله قال لابنه : يا بني ، اذا سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك ليس بالشاهد ، فانك اذا امضيتها حيالها ، رجع العيب على من قالها . وكن كما قال حاتم : »

وما مِنْ شيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي ، وما انا مُخْلِفٌ مَنْ يَرْتجيني

سأمْنحُهُ على العِلاّتِ ، حتى أرى ، ماوِي ، ان لا يَشتكيني

وكِلْمَةِ حاسِدٍ ، من غير جُرْمٍ ، سمِعتُ ، وقلتُ مُرّي ، فانقِذيني

وعابُوهــا عليّ ، فلَمْ تَعِبْني ، ولم يَعْرَقْ لها ، يوماً ، جَبيني

وذي وَجْهَينِ ، يَلْقاني طليقاً ، وليسَ ، اذا تغَيّب ، يأتَسيني

نظَرْتُ بعينِهِ ، فكفَفْتُ عَنْهُ ، مُحافظةً على حَسبي وديني

فلُوميني ، اذا لم أقْرِ ضيفــاً ، وأُكْرِمْ مُكْرِمي ، وأُهِن مُهيني

له المؤاساة عندي

ولا أُزَرِّفُ ضيفي ، إن تأوَّبني

ولا أُداني لَهُ ما ليس بالدّاني [1]

لهُ المُؤاساةُ عِندي ، إن تأوّبني ،

وكلُّ زادٍ ، وان ابقَيْتُهُ ، فاني

---

١ ــ هذان البيتان انشدهما ابو صالح لحاتم .

فهرس الديوان

الصفحة	العنوان

الصفحة	العنوان